

برنامج "في ظلال الكلمة" الكتيب رقم ١ تكوين، خروج

Mini Bible College
Study Booklet # 1
Genesis, Exodus

بقلم: القس الدكتور دك وودورد
ترجمة: القس الدكتور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مُقَدِّمَةٌ

أَرْجِبُ بِكَ قَارِئِي الْعَزِيزِ فِي مَدْرَسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْمُصَغَّرَةِ، وَالَّتِي دَعَوْنَا بِرِنَامَجِهَا الْإِذَاعِيِّ: "فِي ظِلَالِ الْكَلِمَةِ." سَوْفَ نَدْرُسُ مَعَا الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِنْ بَدَايَتِهِ إِلَى نِهَائِيَّتِهِ، مِنْ خِلَالِ الْكُتُبَاتِ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ الَّتِي نُقَدِّمُهَا فِي هَذِهِ السَّلْسِلَةِ. وَسَوْفَ تَأْخُذُنَا جَوْلَتُنَا هَذِهِ لِفَهْمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي رِحْلَةٍ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ إِلَى سَفَرِ الرُّؤْيَا. وَسَوْفَ نَرَى الصُّورَةَ الْمَوْسَعَةَ الَّتِي يُقَدِّمُهَا لَنَا كُلُّ سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَسَوْفَ نَدْرُسُ الْمَوَاضِيْعَ الرَّئِيسَةَ فِي هَذِهِ الْأَسْفَارِ، وَالْأَهْمُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، سَوْفَ نُرَكِّزُ بِنَظَرَةٍ عَنِ كُتُبٍ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَطْبِيقِ مَا نَتَعَلَّمُهُ.

قَدْ يَكُونُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ كِتَابًا غَامِضًا. فَمِنْ الصَّعْبِ أَنْ نَتَّبَعَ آثَارَ مَا حَدَّثَ، وَأَيْنَ حَدَّثَ، وَمَعَ مَنْ حَدَّثَ، وَمَاذَا يَعْنِي. وَلَكِنَّ كُلَّ عَدَدٍ مِنْ أَعْدَادِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَكُلَّ قُطْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ قُطْعِهِ الْفُسَيْفِسَائِيَّةِ، تُضِيفُ جُزْءًا إِلَى كُلِّهِ الْمَجِيدِ. وَفِي نِهَائِيَّةِ رِحْلَتِنَا، صَلَاتِي أَنْ تَكُونَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ قَدْ اِكْتَسَبْتَ فَهْمًا لِكَيْفِيَّةِ اِنْسِجَامِ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضِ. وَبَعْدَ أَنْ نَكُونَ قَدْ اِسْتَطَلَعْنَا أَسْفَارَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِكَامِلِهَا، سَيَنْتَهِي بِكَ الْأَمْرُ بِتَكْوِينِ لِمَحَةٍ عَنِ كُلِّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْفَارِ، وَسَيَكُونُ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَضَعَهَا فِي إِطَارِهَا الصَّحِيحِ حَوْلَ تَارِيخِ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ. وَسَوْفَ تُكُونُ فِكْرَةً عَنِ كَيْفِ عَمَلِ اللَّهِ فِي أَرْمَنَةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَسَوْفَ تَعْرِفُ مَا هُوَ الَّذِي تَغَيَّرَ مَعَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ، وَلِمَاذَا. وَالَّذِي آمَنْتَ بِهِ فِي قَلْبِكَ سَوْفَ يَتَرَسَّخُ فِي ذَهْنِكَ، وَسَوْفَ تَخْتَبِرُ ثِقَةً جَدِيدَةً وَسُلْطَةً جَدِيدَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنِ إِيمَانِكَ لِلآخِرِينَ.

أَرْجُو أَنْ تُنَابِرَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ عَلَى مُتَابَعَةِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ حَتَّى نِهَائِيَّتِهَا، وَأَنْ تَدْعُو آخَرِينَ لِيَنْضَمُوا مَعَكَ إِلَى هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الَّتِي نَتَعَرَّفُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى أَعْظَمِ كِتَابٍ فِي الْعَالَمِ، الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَاحْزِمِ أَمْرَكَ وَأَعِدَّ عِدَّتَكَ، لَكِي تَبْدَأَ مَعَنَا هَذِهِ الرَّحْلَةَ الطَّوِيلَةَ.

أَدْوَاتُ الْعَمَلِ

يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَتَجَنَّبَ الْإِرْتِيَابَ أَوْ الْحَجَلَ عِنْدَمَا يُفْتَحُ مَوْضُوعُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، هُوَ أَنْ نَكُونَ "عَامِلِينَ." فَالطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي بِإِمْكَانِنَا مِنْ خِلَالِهَا فَهْمَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، هِيَ بِأَنْ نَعْمَلَ عَلَيْهِ. أَوْدُ أَنْ أَشْجَعَكَ هُنَا، فِي بَدَايَةِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، بِأَنْ تُلْزِمَ نَفْسَكَ بِدِرَاسَةٍ جَادَّةٍ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ. فَلَا يُوجَدُ كِتَابٌ يَسْتَحِقُّ الدِّرَاسَةَ الْمَكْرَسَةَ الْجَدِيَّةَ وَالْمُثَابِرَةَ بِمَقْدَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ! وَإِذَا رَغِبْتَ بِأَنْ تَتَعَمَّقَ أَكْثَرَ مِمَّا تَأْخُذُكَ إِلَيْهِ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ، اِلْتِزِمَ بِأَنْ تُفْتَشَّ عَنْ أَدْوَاتٍ أُخْرَى تُمَكِّنُكَ مِنْ أَنْ تَتَعَمَّقَ أَكْثَرَ فِي الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ.

إلى جانبِ المُثابرةِ والجِدِّيَّةِ في الدِّراسةِ، تُوجَدُ أدواتٌ أُخرى تُساعدُكَ خلالَ بَحْثِكَ في هذه الدِّراساتِ. الأداةُ الأولى واضِحَةٌ: سوفَ تحتاجُ نُسخَةً منَ الكتابِ المُقدَّسِ، وإذا أمكنَ، أكثرَ منَ ترجمةٍ للكتابِ المُقدَّسِ. وبالطَّبَعِ سوفَ تحتاجُ إلى دَفْتَرِ مَلاحِظَاتٍ وَقَلَمٍ.

تماماً كما يُكَمَّلُ وَيُتَمَّمُ أيُّ عَمَلٍ في المنزلِ بشكلٍ أفضلٍ عندما تُستَخدَمُ الأَدواتُ الصَّحيحةُ، هكذا هي الحالُ أيضاً معَ الكتابِ المُقدَّسِ، الذي تُصِبِحُ دِراسَتُهُ أكثرَ فِعالِيَّةً عندما تُستَخدَمُ المَصادرُ المُتَوَقِّرةُ لَكَ. ضَعْ هَدَفاً أمامَكَ بأن تَجَمَعَ كُلَّ مُساعداتِ الدِّراسةِ التي ذَكَرناها، وسوفَ تتعجَّبُ منَ الفَرقِ الذي سَتُحَقِّقُهُ هذه المُساعداتُ.

الفصل الأول

الكتاب المقدس وتنظيمه

معناه وأصله

قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ دِرَاسَتَنَا لِأَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَاحِدًا تَلَوَ الْآخَرَ، لِنَنْظُرَ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كَكُلِّ. فَلِمَاذَا يُسَمَّى بِهَذَا الْإِسْمِ، وَلِمَاذَا يُشَارُ إِلَيْهِ غَالِبًا "بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ"؟

تَأْتِي كَلِمَةُ "الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ" أَوْ Bible بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ أَوْ بِالْفَرَنْسِيَّةِ، مِنْ الْكَلِمَةِ اللَّاتِينِيَّةِ Biblia، الَّتِي تَعْنِي "كُتُبٌ" بِصِيغَةِ الْجَمْعِ. وَهَكَذَا تَعْنِي عِبَارَةُ "الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ" بِكُلِّ بَسَاطَةٍ "مَجْمُوعَةٌ كُتُبٌ"، وَبِالتَّحْدِيدِ، سِتَّةٌ وَسِتِّينَ سِفْرًا. وَتَعْنِي كَلِمَةُ مُقَدَّسٍ، "مَا يَخْصُ اللَّهَ، أَوْ مَا يَأْتِي مِنَ اللَّهِ." فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هُوَ، حَرْفِيًّا، "أَسْفَارُ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ الصَّغِيرَةِ"، أَوْ "مَجْمُوعَةٌ كُتُبٌ تَخْصُ اللَّهَ وَتَأْتِي مِنْهُ."

وَيُشَارُ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ. لِمَاذَا؟ بِسَبَبِ تَصْرِيحَاتِ قَدَمَهَا الرُّسُلِ، أَمْثالَ بَطْرُسٍ وَبُولُسِ. أَفْضَلُ مِثَالٍ عَلَى ذَلِكَ هُوَ ٢ تِيمُوثَاوُسُ ٣: ١٦ - ١٧: "كُلُّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أُعْطِيَ لَنَا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ نَافِعٌ لِتَعْلِيمِنَا مَا هُوَ حَقٌّ، لِنُدْرِكَ مَا هُوَ خَطَأٌ فِي حَيَاتِنَا: وَهُوَ يُقَوِّمُ إِعْوَاجَنَا وَيُسَاعِدُنَا لِنَعْمَلَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّهُ طَرِيقَةُ اللَّهِ لَجَعَلِنَا مُخَضَّرِينَ بِشَكْلِ جَيِّدٍ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ، وَمُؤَهَّلِينَ بِشَكْلِ كَافٍ لِنَعْمَلَ الصَّلَاحَ لِلْجَمِيعِ." (تَرْجَمَةٌ بِتَصَرُّفٍ مَعَ إِضَافَةٍ تَشْدِيدَاتٍ.)

مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، يُذَكِّرُ التَّأَكِيدُ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَيْسَ مَجْرَدَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْكُتَابَاتِ الْبَشَرِيَّةِ عَنِ اللَّهِ. بَلْ هُوَ كَلِمَاتُ اللَّهِ نَفْسِهِ، مَكْتُوبَةٌ بِأَقْلَامِ بَشَرِيَّةٍ، لَرُبَّمَا مِنْ قِبَلِ أَرْبَعِينَ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ، وَعَلَى مَدَى خَمْسَةِ عَشَرَ أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ قَرْنًا. إِنَّ عَمَلِيَّةَ تَحْرِيكِ اللَّهِ لَهُؤُلَاءِ الرِّجَالِ لِيَكْتُبُوا هَذِهِ الْأَسْفَارَ، تُسَمَّى "الْوَحْيِ"، الَّذِي يَعْنِي حَرْفِيًّا، "التَّنْفُسُ." وَصَفَ بَطْرُسُ ذَلِكَ بِالطَّرِيقَةِ التَّالِيَةِ: "عَالِمِينَ هَذَا أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا لِهِيَ الْقُدَيْسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ." (٢ بَطْرُسُ ١: ٢٠-٢١).

إِنَّ الْكَلِمَةَ الْيُونَانِيَّةَ "مَسُوقِينَ أَوْ مَحْمُولِينَ" تُقَدِّمُ صُورَةً جَمِيلَةً. إِنَّهَا كَلِمَةُ Phero. تَصَوَّرُوا سَفِينَةً شِرَاعِيَّةً يَدْفَعُهَا التِّيَّارُ أَوْ يَحْمِلُهَا الرِّيحُ بِشِرَاعِهَا، تَجِدُوا فِكْرَةَ الْوَحْيِ كَمَا يُقَدِّمُهَا لَنَا بَطْرُسُ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

تَنْظِيمُهُ

بعد أن رأينا ما هو الكتاب المقدس، دعنا ننظر الآن إلى كيفية تنظيمه. على خلاف ما يمكن أن نتوقعه، لا تأتي الأسفار بالترتيب التاريخي، ولا تأتي كذلك مرتبة بحسب كاتبها. ولكن هذه الأسفار مرتبة بحسب نوعها ومحتوى رسالتها. المجموعتان الأساسيتان التي تنقسم الأسفار بحسبهما، هما العهد القديم والعهد الجديد. ولكن لم تكن هذه هي الحال دائماً، لأسباب واضحة جلية. ففي أيام يسوع، على سبيل المثال، لم يكن هناك ما يسمى بالعهد القديم والعهد الجديد. فالعهد الجديد لم يكن قد كتب بعد، وكذلك فإن الأسفار التي وجدت في أيام يسوع كانت تسمى بكل بساطة "كلمة الله"، أو "الأسفار" أو "الكتب". ولكن بعد أن كتب العهد الجديد وجمعت أسفاره معاً في مجموعة واحدة، عندها فقط ظهر التمييز بين العهد القديم والعهد الجديد.

إن رسالة العهد القديم الجوهرية هي التالية: "يسوع أتى في البدء، بحسب تعليم الكتاب المقدس، كان الله والإنسان في إنسجام مع بعضهما البعض. ولكن الله خلق الإنسان صاحب خيار، فاختار الإنسان الإبتعاد عن الله. وبما أن الله لا يستطيع أن يتحمل العصيان (الخطية)، حول الله وجهه عن الإنسان. وحدث "طلاق" بين الله والإنسان. هذا الطلاق بين الله والإنسان هو المشكلة الأساسية التي تتعامل معها الأسفار المقدسة.

يخبرنا الله في العهد القديم قائلاً، "هل ستصدقونني عندما أقول لكم أنني سأعمل شيئاً جوالاً هذا الطلاق؟" أمّا في العهد الجديد، فيقول لنا الله، "هل ستصدقونني عندما أقول لكم أنني عملت شيئاً جوالاً هذا الطلاق؟" فكما ترون، تقول لنا أسفار العهد القديم، "يسوع أتى، وهو الذي سيصالح هذا الطلاق بين الله وبين مخلوقاته." والعهد الجديد يخبرنا بالأخبار السارة التالية: "يسوع جاء، وعندها صالح الطلاق بين الله والإنسان."

إلى جانب التقسيم الأساسي بين العهدين القديم والجديد، توجد تقسيمات أخرى في كل عهد على حدة. فأسفار العهد القديم يمكن تصنيفها تحت خمسة عناوين.

أولاً، نجد أسفار التأموس الخمسة. في هذه الأسفار، يخبرنا الله بما هو صواب وبما هو خطأ، معطياً إيانا معياره للبر.

ثم تأتي الأسفار التاريخية العشرة، التي تخبرنا بشكل أساسي أن شعب الله أطاع أحياناً أسفار التأموس هذه، وأحياناً أخرى لم يطعها. وتوفر لنا قصص شعب الله نماذج تحتذى وتحذيرات تتفادى. العدد المفتاحي لكل التاريخ المدون في الكتاب المقدس، نجده في العهد الجديد. حيث يخبرنا بولس أن كل شيء حدث للشعب الذي نقرأ عنه في الكتاب المقدس،

ليكونَ نماذجَ وتحذيراتٍ. فعندما أطاعَ هذا الشعبُ كلمةَ اللهِ لهم، كانوا مثلاً أو نموذجاً لنحتذِيهِ. وعندما عملوا ما أرادوا وعصوا الله، كانوا ولا يزالونَ تحذيراً لنا.

ثمَّ تتبَّعُ الأسفارُ الشعريَّةُ الأسفارَ التاريخيَّةَ. في هذه الأسفارِ الشعريَّةِ، يُخاطبُ اللهُ قلوبَ شعبِهِ، بينما يُحاولونَ أن يعيشوا كلمتهُ في هذا العالم. مثلاً، يُخاطبُ سفرُ أيوبَ قلوبَ شعبِ اللهِ عندما يتألَّمون. ويُخاطبُ سفرُ المزاميرِ قلوبَ شعبِهِ عندما يعبُدون. ويُخاطبُ سفرُ الأمثالِ قلوبَ شعبِهِ عندما يحتاجونَ إلى ذلكِ النوعِ من الحكمة التي تؤهلُّهم للقيامِ بأعمالِهِم وللتعاطي مع النَّاسِ. ويُخاطبُ سفرُ نشيدِ الأنشادِ قلوبَ شعبِ اللهِ عندما يفكِّرونَ بالحبِّ. كلُّ سفرٍ من هذه الأسفارِ يحتوي على مُساعدَةٍ عمليَّةٍ وتشجيعٍ للمؤمنين.

القسمُ التَّالي من العهدِ القديمِ هو القسمُ الأكبرُ، ويُسمَّى بالأنبياء. ويأتي هذا القسمُ في جزئين: الأنبياء الكبارِ والأنبياء الصِّغارِ – ليس بسببِ أهميَّةِ رسالتِهِم، بل بسببِ طولِ أسفارِهِم. فلقد تطلَّبَ الأمرُ الأنبياءَ الكبارَ أسفاراً أطولَ ليُعَدِّروا عمَّا أرادوا قولهُ.

في العهدِ الجَدِيدِ، لدينا خمسةُ أنواعٍ من الأسفارِ كذلك. أولاً، نجدُ سيرَ حياةِ يسوع الأربَعِ (والتي تُسمَّى بالإنجيل)، وكُتَّابُها هم متى، مرقس، لوقا ويوحنا. ثمَّ يأتي سفرٌ تاريخيٌّ واحدٌ، هو سفرُ أعمالِ الرِّسل. ثمَّ تأتي الرِّسائلُ، التي تقعُ في جزئين: رسائلُ بولس، والرِّسائلُ العامَّةُ. يتألَّفُ نصفُ العهدِ الجَدِيدِ من رسائلٍ كُتبتْها بولس الرسولُ إلى كنائسِ حديثَةِ العهدِ تأسَّست بعدَ القيامةِ. الرِّسائلُ الأخرى كُتبت من قِبَلِ مجموعةٍ من النَّاسِ. وأخيراً نجدُ سفرًا نَبويًّا، هو سفرُ الرؤيا.

بينما ندرُسُ الكتابَ المُقدَّسَ معاً، إقترِبْ من العهدِ القديمِ مُدركاً ما هي رسالتهُ الأساسيَّةُ: يسوع أتى. هذا هو كلُّ ما يتمحورُ حولهُ العهدُ القديمِ. وإقترِبْ من العهدِ الجَدِيدِ باحثاً عن هذه الرِّسالة: يسوع أتى. فهذا هو كلُّ ما يتمحورُ حولهُ العهدُ الجَدِيدِ.

الفصل الثاني

الكتاب المقدس: هدفه، كتابته، وأصوله

هدفه

إبتداءً من سفر التكوين، ووصولاً إلى سفر الرؤيا، يتكلم الكتاب المقدس عن يسوع المسيح. فالكتاب المقدس ليس تاريخ حضارة أو كتاباً علمياً عن الخلق. يعتقد البعض أن الكتاب المقدس هو بشكل أساسي دليل لعيش حياة أخلاقية صالحة؛ ويظن الكثيرون أن يسوع قدّم فقط كمعلم وكمثال لهذا النمط من الحياة. ولكن يسوع المسيح هو موضوع الكتاب المقدس المركزي. تاييداً لهذا الموضوع، نجد في الكتاب المقدس أيضاً أربعة أهداف. الهدف الأول هو: تقديم يسوع المسيح كفادي ومخلص هذا العالم. ولكن لكي نفهم هذا الموضوع، الذي هو هدفنا الأول، نحتاج أن نفهم ضرورة المخلص. الهدف الثاني من الكتاب المقدس هو أن يوفر لنا الإطار التاريخي الذي فيه أتى المسيح.

ولكن في تكوين ١٢، يبدأ سير القصة بالتباطؤ بشدة. فمن هذا الإصحاح، ووصولاً إلى آخر سفر الرؤيا، أي الإصحاحات الـ ١١٧٨ المتبقية، نجد أن مجال سرد القصة يضيق ويصبح أكثر تخصصاً. فمن هذه النقطة فصاعداً، تصبح القصة عن إبراهيم وذريته، خاصة ذلك النسل المتحدّر منه، والذي به ستتبارك جميع الأمم، أي المسياً يسوع المسيح.

عندما نفهم هذين الهدفين الأولين، يصبح الهدفان التاليان أوضح بكثير. فالهدف الثالث هو قيادة غير المؤمن إلى الإيمان؛ والرابع هو إظهار كيف يريد الله المؤمن أن يعيش.

كتابته

من كتب أسفار الكتاب المقدس؟ متى وأين؟ وبأية لغة أو لغات؟ وهل لا تزال توجد مخطوطات أصلية؟ من الذي قرّر ماذا ينبغي أن يتضمن الكتاب المقدس، ومن الذي وضع تنظيمه كما هو عليه اليوم؟ إن هذا النوع من الأسئلة سوف يطرح نفسه عليك قبل أن تقطع شوطاً كبيراً في قراءة الكتاب المقدس.

دعونا نفكر أولاً بكتابة الأسفار المقدسة. لقد سبق وفلنا أن الله هو بالطبع من ألف الكتاب المقدس، من خلال أفلام أناس استخدمهم، سوف نتكلم عنهم لاحقاً. ولكن قبل كل شيء، هناك كلمتان نحتاج أن نفهمهما، عندما نتكلم عن كون الله كتب هذه الأسفار. الكلمة الأولى

هي الإعلان. والإعلان هو العبارة العامة التي تُعطي كل الطُرُق التي يُعلن بها الله الحقيقة للإنسان – عبر الطبيعة، عبر الروح القدس، عبر الأنبياء، وعبر وسائل أخرى. الكلمة الثنائية هي الوحي. هذه العبارة تشير إلى ما يُسميه اللاهوتيون بالإعلان الخاص. فالكتاب المقدس هو إعلان الله الخاص. فلدیه بدايةً، ولديه نهاية. وعبر حوالي ستة عشر قرناً، حرك الله أناساً ليكتبوا هذه الأسفار. ولكن عندما كُتبت الكلمات الأخيرة في سفر الرؤيا، أكمل إعلان الله الخاص. وهكذا فإن الإعلان الخاص، أو ذلك النوع من الوحي، لم يعد يحدث اليوم.

والآن، وبعد أن تحققنا من أن الله كتب هذه الأسفار المقدسة في الكتاب المقدس، علينا أيضاً أن نعترف بأن البشر أيضاً هم الذين كتبوا هذه الأسفار. ولقد كان هؤلاء البشر ملوكاً، صيادي سمك، رعاة غنم، قادة عسكريين، كهنةً وجناتاً جُميز. واحد منهم كان طبيباً، وآخر كان عشاراً. لقد كانوا ينتمون إلى فئاتٍ مُتنوعةٍ من البشر.

أصوله

من قرّر آية كتاباتٍ ينبغي أن تتضمن في الكتاب المقدس، ومتى قرّر ذلك؟ وكيف اتخذت هذه القرارات؟

حوالي العام ١٠٠ ميلادي، في مجمع جَمَنيَا، تمّ جمع أسفار العهد القديم، رغم أنها كانت قيد الإستعمال منذ ثلاثة أو أربعة قرون. ولقد تمّ ضمّ الأسفار بناءً على مصداقية هوية كاتبها، وعلى حسن سيرته كنيي أو ككاتب. معظم هذه الأسفار كُتبت بالعبرية.

أسفار العهد الجديد، التي كُتبت معظمها باليونانية، تمّ إختيارها وجمعها حوالي العام ٦٩٢ ميلادية، في مجمع ترولان. والمعيار الذي على أساسه تمّ إختيار هذه الأسفار يُسمى القانونية، ويأتي تحت أربعة مقاييس أو معايير فرعية:

١- هل قام رسولٌ أو شخصٌ مُقرّبٌ من رسولٍ بكتابة هذا السفر؟

٢- هل كان لهذا السفر ذلك النوع من المحتوى الروحي التعبدي الذي أوصل النعمة إلى قلوب المؤمنين؟

٣- هل توافق محتوى هذا السفر مع محتوى الأسفار الأخرى الموحاة،

٤- وهل كان يتوقّر قبولٌ شاملٌ من قبل الكنائس حول وحي هذا السفر؟

فكيف يُمكنُ أن تكونَ أسفارٌ قد كُتبت منذَ آلافِ السنينِ وهي لا تزالُ مُتواجدةً بينَ أيدينا اليوم؟ لقد تمَّ حفظُ هذه الأسفارِ بِعنايةٍ فائقةٍ. من الواضحِ أنَّه لا يُوجدُ لدينا أيُّه مخطوطةٍ أصليَّةٍ؛ فالورقُ لا يعيشُ كُلَّ هذه الأيامِ والسنينِ. ولكن لدينا نسخٌ مُمتازةٌ عن هذه المخطوطاتِ الأصليَّةِ. ولقد تمَّت ترجمتها بِعنايةٍ كبيرةٍ إلى لغاتنا المُعاصرة.

خاتمة

كيف يُمكننا أن نعرفَ تماماً ما إذا كانَ الكتابُ المُقدَّسُ هوَ بالفعل كلمةَ الله المُوحى بها؟ وكيف يُمكننا أن نتأكدَ ما إذا تمَّ إختيارُ الأسفارِ الصَّحيحة، وأنَّه لم تُرتكبْ أخطاءٌ في النسخِ أو في التَّرجمة؟ هناكُ طريقةٌ واحدةٌ لمعرفةِ ذلك، يُخبرنا عنها يسوع. قالَ يسوع، "إذا أرادَ أحدٌ أن يعملَ، فسيعلمُ." فالطريقةُ موجودةٌ في قلبِك. عندما تقتربُ من كلمةِ الله، وأنتَ مُزوَّدٌ بإرادةٍ لتعملَ بما تقوله كلمةُ الله هذه، وعندما تعملُ بما تحدُّه هناك، سوفَ تُحدثُ هذه الكلمةُ تغييراً جذرياً في حياتك، فتقولُ عندها، "هذه هي بالحقيقة كلمةُ الله. ينبغي أن تكونَ كذلك. ولا يُوجدُ أيُّ تفسيرٍ آخر لهذه الظاهرة."

الفصل الثالث

كيفية درس الكتاب المقدس

عندما يتعلّق الأمر بدراسة الكتاب المقدس بجديّة، يتوجّب علينا أن ندرسه بعناية وحكمة. إحدى الطرق الفعّالة لدراسته هي هذه العملية الرباعيّة: الملاحظة، التفسير، التطبيق، والتعامل العلاقتي.

تأتي الملاحظة أولاً. فعندما تقرأ المقطع الكتابي، ينبغي أن تطرح السؤال التالي، "ماذا يقول؟" ثم يأتي التفسير، الذي تسأل خلاله، "ماذا يعني؟" ثم يأتي التطبيق. في هذه المرحلة، يطرح السؤال، "ماذا يعني لي شخصياً؟" أما في مرحلة التعامل العلاقتي، فيطرح السؤال، "كيف يرتبط هذا النصّ الكتابي بباقي أسفار الكتاب المقدس؟"

إن معرفة ما يقوله نصّ الكتاب المقدس وما يعنيه، هو أمر في غاية الأهميّة. ولكن إن لم تعمل بموجب ما يعلمه نصّ الكتاب المقدس، تصبح دراسته بدون معنى. فعندما تصل إلى المرحلة التي تسمى "التطبيق"، بإمكانك أن تكتشف ما يعنيه نصّ كتابي لك، بطرح ذلك السؤال العام بصيغة محدّدة. حاول الإجابة على هذه الأسئلة كبدائية:

- هل توجد آية نماذج ينبغي إتباعها؟
- هل توجد آية تحذيرات ينبغي تحاشيها؟
- هل توجد آية توصيات ينبغي إطاعتها؟
- هل توجد آية خطايا ينبغي تركها؟
- هل توجد آية حقائق جديدة عن الله أو عن يسوع المسيح؟
- هل توجد آية حقائق جديدة عن حياتي الشخصيّة؟

عندما ندرس الكتاب المقدس، نجد بعض القواعد التي ينبغي أن نفوّدنا. وإليكم واحدة منها. فعندما تقتربون من مقطع كتابي، تدكّروا التالي: حتّى ولو كان يوجد تفسير واحد، يمكن أن يوجد ألف تطبيق. قد تكونون وإثقين حيال كيفية إنطباق مقطع معين على حياتكم، ولكن أرجو أن تسمّحوا للروح القدس بأن يعمل بشكل مختلف في حياة شخص آخر، من خلال هذا المقطع نفسه.

ثانياً، بما أنّ الكتاب المقدّس هو كتاب يتكلّم عن المسيح، عليكم أن تبحثوا عن المسيح، عبر كلّ ما تقرأونه خلال دراستكم لكلمة الله. ثالثاً، عندما تقتربون من عدد يبدو وكأنه غامض أو مثير للحيرة، عليكم دائماً أن تفسّروه على ضوء أعداد أخرى واضحة المعنى. توجد عدّة أعداد في الكتاب المقدّس صعبة الفهم. وتوجد أعداد كثيرة أخرى لا يصعب فهمها. اعتمدوا على الأعداد الواضحة لتفوّد تأملكم بالأعداد الأصعب.

وإيكم الخطوة المهمّة التالية: إيّاكم أن تقتربوا من مقطع كتابي وقد كونتم فكرة مسبقة عمّا يعنيه هذا المقطع. فقد تكونون على حقّ تماماً في ما تظنون أنّ هذا المقطع يعنيه، وقد لا تكونون على حقّ بتاتاً. وسوف تصعبون مهمّة الروح القدس في إفهامكم ما يريدكم أن تفهموه، إن كنتم تظنون أنّكم تعرفون مسبقاً معنى هذا المقطع.

مبدأ مهمّ آخر، خاصّة إن كنتم منخرطون في مهمّة تعليم الكتاب المقدّس، هو أن تكونوا على استعداد لتطبيقه على أنفسكم، قبل أن تعلّموه للآخرين. وهاكم مبدأ آخر. تدكّروا دائماً أنّ الله يتكلّم معنا من خلال كلمته، لهذا عليكم أن تقتربوا من كلمة الله بروح الصلاة، طالبين من الله أن يعلن أموراً لكم شخصياً من خلال الروح القدس.

وهاكم أمر آخر نلّمح له: إنتهوا دائماً إلى قرينة أيّ نصّ كتابي. فلو اقتبس أحد مرّة من أقوالكم، ولكن دون الأخذ بعين الاعتبار القرينة التي تكلمتم فيها، فأنتم تعلمون كيف يمكن أن يتمّ تأويل معنى كلماتكم لتعني شيئاً لم تقصدوه البتّة. على مثال ذلك، يمكن استخدام كلمة الله لتأكيد آية نقطة تشاؤونها تقريباً، إذا عزلتم أيّ عدد من أعداد كلمة الله عن الأعداد التي تأتي معه في قرينته. إنّ دراسة عدد واحد بمعزل عن قرينته هو أمر غالباً ما يقودكم إلى سوء تفسير هذا العدد.

والآن، بعد أن وضعنا أساساً لدراستنا لكلمة الله، سوف نبدأ ببحث أوّل أسفار الكتاب المقدّس، الذي هو سفر التكوين. وصلاتي، إذ نبدأ بدراسة هذا السفر، هي أن تصلوا إلى كلمة الله، وأن تصل كلمة الله إليكم.

الفصل الرابع

سفر التكوين – كتاب البدايات

يتكلم سفر التكوين عن البدايات. إن كلمة "تكوين" تعني حرفياً "بداية". ويشكل سفر التكوين بداية الكتاب المقدس، ولكنه يتكلم أيضاً عن البدايات. أول بداية يصفها هي بداية العالم.

في سفر التكوين، يُخبرنا الله عن الإنسان، كما كان في ذلك الزمان، وكما هو عليه الآن. سوف يساعدنا هذا على فهم نفوسنا. فسفر التكوين يُخبرنا عن الخطيئة. فرؤيتنا لكيفية بداية الخطيئة تساعدنا على رؤية كيفية تأثير الخطيئة علينا اليوم. ويرينا أول اتصال أجراه الله مع الإنسان، وتلك المحادثات البسيطة تساعدنا على رؤية كيفية تواصل الله معنا اليوم. وفي الصراع بين قايين هابيل، نرى كيف تبدأ النزاعات، ونبدأ بفهم الصراعات والنزاعات التي نفهمها اليوم.

في الإصحاحات ٦ إلى ٩، نقرأ عن أول كارثة في العالم، ألا وهي كارثة الطوفان. وفي هذه القصة، نجد صورة عن الخلاص. فبسبب إيمان نوح، خلصه الله من الهلاك. وإن كان لدينا إيمان، فبإمكاننا نحن أيضاً أن نخلص من الهلاك الذي تسببه الخطيئة.

وفيما تبقى من هذا السفر، نجد قصة تلو الأخرى تُرينا كيف أن الله في نهاية الأمر هو صاحب السيطرة والسلطان. ومع تكرار هذا الموضوع، هل يمكننا أن نشك بكون الله لا يزال صاحب السيطرة والسلطان اليوم؟

إن مهمتك اليوم هي بأن تبدأ بقراءة سفر التكوين. وبينما تفعل ذلك، إسأل نفسك الأسئلة التالية: ماذا يقول هذا السفر عن كيف كانت الأمور آنذاك؟ وكيف يشير هذا إلى حالة الأمور كما هي عليه اليوم؟ وكيف ينبغي أن يُغيّر هذا فكري وحياتي؟

الفصل الخامس

هل الخلق معقول؟

إن سفر التكوين، لا بل الكتاب المقدس بكامله، يبدأ بقصة الخلق.

ولكن رغم كل المعنى المُدخّر في هذا الحدّث، ولكن سرده يُعطي إصاحاً ونصف فقط. ما هو سبب ذلك؟ كما قلنا في الفصل الأخير، كُتب هذا السفر ليس فقط ليخبرنا كيف حدث هذا في ذلك الزمان، بل أيضاً لنفهم الأمور كما هي عليه الآن. فالله غير مُلزم بأن يُفسّر لنا كل شيء. وهو لا يحتاج أن يدافع عن نفسه. وهو لا يُعطينا هذا السرد للخلق لكونه يعتقد أنه يدين لنا بتفسير كيف خلق كل شيء.

رغم ذلك، لا يمكننا أن نتجاوز هذا السفر بدون مناقشة ما هو على الأرجح القضية الأكثر إثارة للجدل في الكتاب المقدس، وبشكل متكرر أكثر من غيره. يوجد نقيضان حول موضوع الخلق. أولاً، يوجد الموقف الذي يقول أن سرد حدث الخلق في سفر التكوين لا يركن إليه علمياً، لهذا لا يمكن أن يكون الكتاب المقدس كلمة الله الموحى بها. النقيض الآخر هو الموقف الذي يقول أن السؤال المطروح ليس، "هل الكتاب المقدس يركن إليه علمياً؟" ولكن، "هل العلم يركن إليه كتابياً؟" الذين يتبنون هذا الموقف يقولون، "ليس الكتاب المقدس تحت المحاكمة. بل العلم هو الذي تحت المحاكمة."

القضية الحقيقية هي: هل الكتاب المقدس والعلم متفقان فيما يتعلق بتكوين العالم؟

نحتاج أن نضع بعض الأمور في إطارها الصحيح. أولاً، إن طبيعة العلم المحض لا تترك مجالاً للإيمان بالله، بالمعنى الضيق للكلمة. هذا لا يعني أنه ليس بإمكان عالم أن يكون مؤمناً تقياً. ولكن العلم بحد ذاته هو دراسة للمعلومات أو الظواهر التي يمكن ملاحظتها وقياسها وإثباتها موضوعياً. إنه مبني على الاختبارات، الاستنتاجات، والتطبيقات. إنه خاضع للمراقبة، وتمكن مراقبته. والله بطبيعته لا يمكن أن يكون موضوعاً لهكذا نوع من الدراسة. فمن المستحيل الإقتراب من الله بمنهجية علمية. فالطريقة الوحيدة للإقتراب من الله، هي من خلال الإيمان، كما نقرأ في عبرانيين ١١: ٦، "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه."

نقرأ، "في البدء خلق الله السموات والأرض" (تكوين ١: ١). ثم نقرأ: "وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه" (تك ٢: ٢)

يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ بَدَأَ يَتَحَرَّكُ عَلَى هَذِهِ الْخَلِيقَةِ وَيُطَوِّرُهَا وَيُحَرِّكُهَا وَيُغَيِّرُهَا. مِثْلًا، يَقُولُ الْكِتَابُ فِي تَكْوِينِ ١: ٩، "لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ وَلِتَظْهَرَ الْيَابِسَةُ."

لَمْ يَقُلِ اللَّهُ "لِتَكُنِ الْيَابِسَةُ." فليست هذه هي المرحلة التي خُلِقَتْ فِيهَا الْيَابِسَةُ. بل يبدو أنها كانت قد خُلِقَتْ مُسَبِّقًا، فِي عَمَلِ الْخَلْقِ الْبِدَائِيِّ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَا تَزَالُ مَغْمُورَةً تَحْتَ الْمِيَاهِ. فِي هَذَا الْعَدَدِ، نَجِدُ الْيَابِسَةَ تَظْهَرُ مِنْ تَحْتِ الْمِيَاهِ. مِنَ الْمُثْبِتِ لِلْإِهْتِمَامِ أَنَّ مُجْمَلَ الْعُلَمَاءِ مُتَّفِقُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ بِكَامِلِهَا كَانَتْ مَغْمُورَةً بِالْمِيَاهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

تعني كلمة "بارا" العبرية، أو خلق، عَمَلٌ شَيْءٍ مِنَ الْعَدَمِ. تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هُنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذَا السَّرْدِ لِعَمَلِيَّةِ الْخَلْقِ. فَاللَّهُ خَلَقَ فِي الْبِدَايَةِ، فِي الْعَدَدِ الْأَوَّلِ. فَعَمَلُ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ هَذَا، "بَارًا"، يُشِيرُ إِلَى الْكَوْنِ، الْأَرْضِ، وَالْحَيَاةِ النَّبَاتِيَّةِ.

الْكَلِمَاتُ الْأُخْرَى بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ ٢ وَ ٢٠ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ. إِنَّهَا كَلِمَاتٌ تُشِيرُ إِلَى التَّغْيِيرِ، أَوْ إِلَى أَخْذِ شَيْءٍ مَوْجُودٍ أَصْلًا وَتَغْيِيرِ شَكْلِهِ. فَعَمَلُ الْخَلْقِ التَّالِيِ يَجْرِي فِي الْمِيَاهِ. نَقْرَأُ فِي الْعَدَدِ ٢١، "فَخَلَقَ اللَّهُ التَّنَائِينَ الْعِظَامَ وَكُلَّ ذَوَاتِ الْأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ."

نَقُولُ مُجَدِّدًا أَنَّهُ يُوجَدُ إِتْفَاقٌ بَيْنَ السَّرْدِ الْكِتَابِيِّ لِعَمَلِيَّةِ الْخَلْقِ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ. إِذْ يَبْدُو أَنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّكِدُونَ مِنْ أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَيَوَانِيَّةَ بَدَأَتْ فِي الْمِيَاهِ، وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُهُ سَفَرُ التَّكْوِينِ.

عَمَلِ "بَارًا" التَّالِيِ يَجْرِي فِي الْعَدَدِ ٢٧، "فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ."

إِنَّ إِعْلَانَ سَفَرِ التَّكْوِينِ عَنْ حَدَثِ الْخَلْقِ يَتَكَلَّمُ عَنْ بَدَايَاتِ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ. فَبَعْدَ أَعْمَالِ الْخَلْقِ الْأَصْلِيَّةِ هَذِهِ، نَجِدُ رُوحَ اللَّهِ يُغَيِّرُ وَيُطَوِّرُ هَذَا الْخَلْقَ. وَهَذَا يَتَّفِقُ مَعَ مَا يَقُولُهُ الْعُلَمَاءُ عَنْ تَطَوُّرِ أَشْكَالِ الْحَيَاةِ، وَفِي هَذَا الْإِطَارِ أُجِدُ إِسْجَامًا مَعَ الْفِكْرِ النَّشُؤِيِّ.

وَلَكِنَّ النَّشُؤِيَّيْنَ وَالنَّطُورِيِّينَ لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَتَّفِقُوا بِنَاتٍ حَوْلَ قَضِيَّةِ الْحَلَقَاتِ الْمَفْقُودَةِ. فَالْحَلَقَاتُ الْمَفْقُودَةُ الثَّلَاثُ تَتَمَحَوَّرُ فِي ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ. كَيْفَ بَدَأَ كُلُّ هَذَا؟ وَكَيْفَ أَصْبَحَتِ الْحَيَاةُ النَّبَاتِيَّةُ حَيَاةً حَيَوَانِيَّةً؟ وَكَيْفَ أَصْبَحَتِ الْحَيَاةُ الْحَيَوَانِيَّةُ حَيَاةً إِنْسَانِيَّةً؟ الْعِلْمُ لَا يَمْلِكُ تَفْسِيرَاتٍ لِهَذَا الْحَلَقَاتِ الْمَفْقُودَةِ. أَمَّا سَفَرُ التَّكْوِينِ، فَلَدِيهِ هَذِهِ التَّفْسِيرَاتُ. وَجَوَابُ سَفَرِ التَّكْوِينِ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ هُوَ بِبَسَاطَةٍ "بَرًا،": خَلَقَ اللَّهُ.

الفصل السادس

ولادة الجنس البشري

لقد ناقشنا سابقاً أصول الكون؛ والآن دعونا نبحث في أمورٍ شَخْصِيَّةٍ في هذا الإصحاح، سوف نتأمل في ما يَقُولُهُ سفرُ التَّكْوِينِ عن بداياتِ الإنسان. تَذَكَّرُوا، إِنَّ الْقَصْدَ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ هُوَ أَنْ يُخْبِرَنَا عَنْ حَالَةِ الْكَوْنِ كَمَا كَانَ مِنْ زَمَانٍ، لَكِي نَسْتَطِيعَ أَنْ نَفْهَمَ كَيْفَ هُوَ الْآنَ. وَبَيْنَمَا نَقْتَرِبُ مِنْ مَوْضُوعِ بَدَايَةِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ نَقْتَرِبُ مِنْ مَوْضُوعِ نُفُوسِنَا. فَمَاذَا لَدَى سَفَرِ التَّكْوِينِ لِيَقُولَهُ عَنِ مَقْصِدِ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ؟ دَعُونَا نَبْدَأُ بِقِرَاءَةِ وَصْفِ كَيْفِيَّةِ ظُهُورِ الرَّجُلِ وَالْمَرَأَةِ لِلْوُجُودِ.

وَقَالَ اللَّهُ، نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا، كَشَبَهِنَا. فَيَنْسَلْطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ... فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرْنَا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا واملأوا الأرض... وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ. فَاصْنَعْ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ... فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ. فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهُ الضِّلَعِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ... لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. (تكوين ١: ٢٦-٢٨؛ ٢: ١٨، ٢١-٢٤)

على صورة الله

الأمرُ الأوَّلُ الَّذِي يَظْهَرُ جَلِيًّا فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، هُوَ كَوْنُ الْإِنْسَانِ مَخْلُوقًا عَلَى صُورَةِ اللَّهِ وَمِثَالِهِ. إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَأْلُوفَةٌ لَدَيْنَا، وَلَكِنْ مَاذَا تَعْنِي بِالْحَقِيقَةِ؟ بِمَا أَنَّ اللَّهَ رُوحٌ، وَأَنَّ لَيْسَ لَهُ جَسَدٌ، فَهَذَا لَا يُشِيرُ عَلَى الْأَرْجَحِ إِلَى شَكْلِنَا الْخَارِجِيِّ. بَلْ يُشِيرُ إِلَى إِمْكَانِيَّةِ إِنْنا عَلَى أَنْ نَكُونَ رُوحِيِّينَ. بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ نَحْنُ نُشْبِهُ اللَّهَ. بِالطَّبَعِ، فِي تَكْوِينِ ٣، نَرَى كَيْفَ تَشَوُّهُ هَذَا التَّشَابُهَ مَعَ اللَّهِ عِنْدَمَا أَخْطَأَ آدَمُ وَحَوَّاءَ. وَمِنْذُ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ، أَصْبَحَتِ الْمَشْكِلَةُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي يَتَعَامَلُ مَعَهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هِيَ "إِعَادَةُ خَلْقِ" صُورَةِ اللَّهِ فِي الْإِنْسَانِ. يُرِينَا الْإِصْحَاحَانِ ١ وَ ٢ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ الْإِنْسَانَ كَمَا خُلِقَ فِي الْبَدءِ، وَكَمَا كَانَ مَقْصُودًا لَهُ أَنْ يَكُونَ. تَكْوِينِ ٣ يُرِينَا الْإِنْسَانَ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ آنَذَاكَ.

الدُّكْرُ وَالْأُنْثَى

مُلاحَظَةٌ أُخْرَى يُمَكِّنُنَا تَقْدِيمُهَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ، هِيَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. هُنَا نَجِدُ أَوَّلَ نَمُودَجٍ عَنِ الْجِرَاحَةِ مَعَ الْبِنَجِ. فَأَوَّلُ طَبِيبِ بَنَجٍ كَانَ اللَّهُ! فَلَقَدْ أَوْقَعَ اللَّهُ سُبَاتًا عَمِيقًا عَلَى آدَمَ؛ ثُمَّ أَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، وَصَنَعَ الْمَرْأَةَ مِنْ هَذَا الضِّلْعِ. هُنَا نَجِدُ صُورَةَ رَمَازِيَّةً جَمِيلَةً. فَاللَّهُ لَمْ يَأْخُذْ الْمَرْأَةَ مِنْ رَأْسِ الرَّجُلِ، حَتَّى لَا تَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْ قَدَمِهِ حَتَّى لَا يَسْتَعْبِدَهَا كخَادِمَةٍ لَهُ. بَلْ أَخَذَ اللَّهُ الْمَرْأَةَ مِنْ ضِلْعِ الرَّجُلِ، لِكَيْ تَكُونَ قَرِيبَةً مِنْ قَلْبِهِ.

لماذا خلق الله المرأة؟ من الأفضل ترجمة كلمة "وَحْدَهُ" بالعبرية، بكلمة "غير كامل، أو ناقص"، أو "أكثر كمالاً". إذا دخلت إلى مجال قواعد اللغة العبرية، تجد أنه عندما جمع الله هذا الرجل وهذه المرأة في ما يُسمى بِرِبَاطِ الزَّوْاجِ الْمُقَدَّسِ، أو بِالِإِتِّحَادِ الْجِنْسِيِّ، فإنَّ هذا الرَّجُلَ وهذه المرأة المُتَّحِدَانِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ أَصَبَحَا إِنْسَانًا وَاحِدًا.

من المهم أن نلاحظ هنا أنه عندما جمع الله ذلك الرجل وتلك المرأة معاً، أوجد الله أهمَّ مُؤَسَّسَةٍ عَلَى الْأَرْضِ الْيَوْمَ، وَالتِّي تُسَمِّيهَا الْعَائِلَةُ أَوْ الْبَيْتِ. لَقَدْ كَانَتْ خُطَّةُ اللَّهِ عِنْدَمَا خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَانَتْ خُطَّتُهُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ وَيَجْعَلَ مِنْهُمَا مُتَّحِدَيْنِ فِي عِلَاقَةٍ لِيَكُونَ بؤسَعِيهِمَا أَنْ يُصْبِحَا وَالدِّينِ. ثُمَّ، كَوَالِدَيْنِ، يُنْجِبَانِ بَدُورَهُمَا أَوْلَادًا سَيُصْبِحُونَ بِدُورِهِمْ أَزْوَاجًا لِأُخْرَيْنَ وَمِنْ ثَمَّ وَالدِّينِ يُنْجِبُونَ أَشْخَاصًا يُصْبِحُونَ هُمْ أَيْضًا أَزْوَاجًا وَالدِّينِ. هَذَا هُوَ نَامُوسُ الطَّبِيعَةِ الْعَظِيمِ، الَّذِي مَنْحَ الْحَيَاةَ وَالنُّمُوَّ وَالِإِتِّجَاهَ لِلْعَائِلَةِ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا.

إِنَّ الشَّرَاكَةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ هِيَ جِزءٌ هَامٌّ جَدًّا مِنْ نَامُوسِ اللَّهِ الْأَسَاسِيِّ لِلْحَيَاةِ. لِهَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ ذَكَرًا وَأُنْثَى. تَصَوَّرْ مُثَلَّثًا، حَيْثُ يُوْجَدُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ الْهَرَمِ، وَالرَّجُلُ عَلَى الزَّوَايَةِ السُّفْلَى الْيُسْرَى وَالْمَرْأَةُ عَلَى الزَّوَايَةِ السُّفْلَى الْيُمْنَى مِنَ الْمُثَلَّثِ. إِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَلَى عِلَاقَةٍ بِاللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ أَيْضًا عَلَى عِلَاقَةٍ بِاللَّهِ نَفْسِهِ، فَبِمَقْدَارٍ مَا يَقْتَرِبُ هَذَا الرَّجُلُ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ اللَّهِ، بِمَقْدَارٍ مَا يَقْتَرِبَانِ تِلْقَائِيًّا مِنْ بَعْضِهِمَا الْبَعْضِ.

بَيْنَمَا تَدْرُسُ مَوْضُوعَ الزَّوْاجِ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ، سَتَجِدُ أَنَّ الزَّوْاجَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلَاقَةً حَصْرِيَّةً بِمَعْنَيْنِ. فَمِنْ أَجْلِ الزَّوْاجِ، يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ. فَهُوَ يَسْتَقْصِي الْعَائِلَةَ الَّتِي قَضَى مَعَهَا عَشْرِينَ أَوْ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ عَامًا. وَأَيْضًا بِسَبَبِ الزَّوْاجِ، عَلَيْهِ أَنْ يَنْسَى كُلَّ الْآخَرِينَ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَحْيَا مَعَ زَوْجَتِهِ حَصْرِيًّا، لِبَاقِي حَيَاتِهِ. وَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَّخِذَ نَفْسَ هَذِهِ الْخُطُواتِ وَالِإِلْتِزَامِ الْحَصْرِيِّ تَجَاهَ زَوْجِهَا. هَذِهِ هِيَ خُطَّةُ اللَّهِ لِلزَّوْاجِ.

الفصل السابع

أين أنت؟

أحد أكثر المقاطع المألوفة في الكتاب المقدس، هو الإصحاح الثالث من سفر التكوين، حيث يأكل آدم وحواء الثمرة الممنوعة. يُرينا الإصحاح الثاني الإنسان كما كان عندما خلق وكما قصد الله له أن يحيا حياته. يُرينا هذا الإصحاح الخطيئة – كما كانت عليه آنذاك، وكما هي عليه اليوم. ويُرينا آدم وحواء يُواجهان نفس القرار الذي نواجهه جميعاً عدّة مرّات في اليوم، ألا وهو: هل سنتصرّف على طريقة الله أم على طريقتنا؟ لقد خلقنا الله مخلوقات ذات خيار. ولهذا بإمكاننا أن نعمل إرادة الله أو أن نعمل إرادتنا.

يصف الإصحاح الثالث من سفر التكوين هذه الأزمة عندما حدثت لأول مرّة. وهو يصف معركة الإرادات كما كانت عليه في ذلك الزمان، لكي نفهم هذه المعركة كما هي في حياتنا الآن. ولقد تمّ شرح الوضع لنا سابقاً، أي في تكوين ٢: ٨-٩: "وَعَرَسَ الرَّبُّ الْإِلَهَ جَنَّةً فِي عَدْنِ شَرْقًا. وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ. وَشَجَرَةُ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ وَشَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ."

في مكان ما على الطريق، أخذ أشخاص فكرة كون الشجرة الممنوعة شجرة تفاح، ولكن لا يوجد أي ذكر للتفاح هنا ولا في الإصحاح الثالث من سفر التكوين. بدل ذلك، نقرأ عن شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشّر.

قبل أن نتابع، نحتاج أن نتكلّم عن نوع اللّغة التي نستخدم هنا. هذه القصة هي حقيقة تاريخية، ولكنها أيضاً مجازية رمزية. المجاز هو قصة يتخذ فيها الأشخاص، الأماكن والأشياء معنى إضافياً على المعنى التاريخي الواضح، وغالباً ما يحمل تعليماً أخلاقياً.

في وصف جنة عدن، أنواع الأشجار التي نقرأ عنها تُشير إلى أن الله كان سيُلبي احتياجات الإنسان في ذلك المكان. لاحظوا الأولوية: قبل كل شيء، هذه الأشجار كانت ستشبع حاجة الإنسان للنظر؛ ثم كانت ستلبي حاجته للطعام، ومن ثم كانت ستمنحه الحياة. ولكن كانت هناك أيضاً شجرة المعرفة، وقد كانت محظورة من قبل الله.

في الإصحاح الثالث، حيث جرت أحداث قصة الخطيئة الأولى، لاحظوا أن ترتيب الأولويات تعيّر. فبدلاً من وضع حاجة العين أولاً، والطعام ثانياً، والحياة ثالثاً، والمعرفة أولاً بتاتاً، وضعوا الطعام أولاً، ثم العين، ثم الحياة، ثم المعرفة – ولم يصلوا أبداً إلى الحياة. وبدل ذلك، حصلوا على الموت الروحي. نقرأ في تثنية ٨: ٣ أنه، "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله." فنحن بالحقيقة لا نعيش عندما نخرج ونبحث عن

طُرِقَ نُشْبَعٌ مِنْ خِلَالِهَا إِحْتِيَاجَاتِنَا. فَبِحَسَبِ هَذَا الْعَدَدِ، الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَأْتِي مِنْ إِطَاعَةِ كُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ.

عندما وضعَ اللهُ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي الْجَنَّةِ، وَقَرَّ لَهُمَا كُلُّ مَا كَانَا يَحْتَاجَانِهِ. وَلَقَدْ عَرَفَ إِحْتِيَاجَاتِهِمَا لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا. وَبِمَا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا، فَهُوَ يَعْرِفُ إِحْتِيَاجَاتِنَا نَحْنُ أَيْضًا؛ وَلَدَيْهِ كُلُّ نَيَّْةٍ بِتَوْفِيرٍ مَا نَحْتَاجُهُ.

قَدْ تَتَسَاءَلُونَ الْآنَ لِمَاذَا أَتَتِ الْعَيْنُ أَوَّلًا فِي لَائِحَةِ الْأُولَوِيَّاتِ. عِنْدَمَا يَذْكُرُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الْعَيْنَ، فَهُوَ غَالِبًا لَا يَعْنِي الْعَيْنَ حَرْفِيًّا. فَمَثَلًا، فِي مَتَّى ٦: ٢٢-٢٣، قَالَ يَسُوعُ، "سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ؛ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً، فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نِيرًا. وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شَرِيرَةً، فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا." لَمْ يَكُنْ يَسُوعُ يَتَكَلَّمُ عَنِ الرَّؤْيَا الرُّوحِيَّةِ. بَلْ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي بِهَا نَنْظُرُ لِلْأُمُورِ، أَوْ ذَهْنِيَّتِنَا، أَوْ نَظَرَتِنَا لِلْحَيَاةِ. وَعِنْدَمَا وَضَعَ اللَّهُ هَذَا أُولَوِيَّةَ سَامِيَّةٍ عَلَى مَا هُوَ جَيِّدٌ لِلنَّظَرِ فِي جَنَّةِ عَدْنِ، كَانَ يَقُولُ بِالْحَقِيقَةِ أَنَّهُمَا كَانَا بِحَاجَةٍ أَنْ يَنْظُرَا إِلَيْهِ لِكَيْ يُشْبِعَا حَاجَةً وَاحِدَةً مِنْ أَعْظَمِ إِحْتِيَاجَاتِهِمَا. فَأَعْظَمُ حَاجَةٍ كَانَتْ لَدَيْهِمَا وَأَعْظَمُ حَاجَةٍ لَدِينَا، هِيَ أَنْ نَدْعَ اللَّهَ يُظَهِّرَ لَنَا كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ نَرَى الْأُمُورَ.

وَلَكِنْ تَوَجَّدُ صُورَةٌ أُخْرَى فِي هَذَا الْإِصْحَاحِ أَيْضًا. فَبَعْدَ أَنْ اسْتَسَلَّمَ آدَمُ وَحَوَاءُ لِلتَّجْرِبَةِ، نَقَرَا أَنَّهُمَا سَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاثِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ وَقَالَ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ؟" (تكوين ٣: ٨-٩).

مِنَ الْمُثِيرِ لِلإِهْتِمَامِ أَنَّ اللَّهَ بَدَأَ هَذَا الْحِوَارَ مَعَ آدَمَ وَحَوَاءَ بِطَرَحِ أَسْئَلَةٍ: "أَيْنَ أَنْتَ؟ مِنْ أَخْبَرَكَ أَنَّكَ غُرِيَانُ؟" (تكوين ٣: ٩-١١) لَقَدْ كَانَ اللَّهُ يَعْرِفُ الْأَجُوبَةَ مُسَبِّقًا بِالطَّبَعِ؛ فَهُوَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، وَهُوَ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ. لَقَدْ طَرَحَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةَ، بِسَبَبِ أُمُورٍ كَانَتْ يَجْهَلُهَا كُلُّ مَنْ مِنْ آدَمَ وَحَوَاءَ. كَانِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ جَعْلَهُمَا يُفَكِّرَانِ. فَعِنْدَمَا سَأَلَ اللَّهُ، "أَيْنَ أَنْتَ؟" كَانَتْ بِالْحَقِيقَةِ يَسْأَلُ، "لِمَاذَا تَخْتَبِئُ مِنِّي؟"

السُّؤَالُ الثَّانِي الَّذِي طَرَحَهُ اللَّهُ، بَعْدَ إِعْتِرَافِ آدَمَ بِأَنَّهُ إِخْتَبَأَ لِأَنَّهُ كَانَ غُرِيَانًا، هُوَ سُؤَالٌ مُفَضَّلٌ عِنْدِي: "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ غُرِيَانُ؟" (تكوين ٣: ١١ أ) فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، نَقَرْنَا هَذَا الْعَدَدَ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي: "مَنْ جَعَلَكَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟" وَالْجَوَابُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ بِالطَّبَعِ أَنَّ اللَّهَ كَانَ مَصْدَرُ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ، بِمَا أَنَّهُ هُوَ مَصْدَرُ كُلِّ الْمَعْلُومَاتِ الْأُخْرَى. هُنَاكَ بَعْضُ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي يُرِيدُنَا أَنْ نَعْرِفَهَا، وَهُنَاكَ مَعْلُومَاتٌ أُخْرَى إِخْتَارَ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنَّا، وَلَكِنْ لَا تَوَجَّدُ مَعْلُومَاتٌ خَفِيَّةٌ عَلَى اللَّهِ نَفْسِهِ. فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَعْرِفُ أَيْنَ نَحْنُ رُوحِيًّا، إِذَا فَكَّرْنَا بِهَذَا الْأَمْرِ، نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَعْرِفُ أَيْنَ نَحْنُ، وَأَيْنَ يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ.

السؤال التالي الذي طرَّحه الله كان، "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟" (تكوين ٣: ١١ ب). لقد عصا آدم وحواء على الله، وإختبأ خلف شجر الجنة، واضعين أوراق تين لستر عريهما، متحمّلين عواقب خطيئتهما. إن كنت تقف على مائدة كريمة هي عواقب خطايا ارتكبتها، إطرح على نفسك هذا السؤال: هل كنت تأكل من الشجرة التي قال لك الرب أن لا تأكل منها؟ وهل كنت تتجاهل وتعصى كلمة الله؟ وهي تتجاهل توجيهاته لك في الحياة؟

السؤال الرابع الذي طرَّحه الله هو، "ماذا فعلت؟" ولقد وجَّهه الله إلى حواء، وهو يُنتج إقراراً، حتى ولو كان الإقرار مُذنباً بعذرٍ أو بحجة. إن كلمة "إقرار" تأتي من كلمتين تعنيان، "قول المثل". حرفياً، الإقرار هو الموافقة مع الله فيما يقوله عما فعلته. لقد أراد الله أن تضع حواء كل الحقائق على الطاولة بينها وبين الله، لكي يتعامل معاً بجدية مع ما حدث. وهذا ما يريدُه الله منّا اليوم. إنّه يريدنا أن ندرك ما فعلنا، وأن نواجهه بأمانة وإخلاص.

يُشكّل تكوين ٣ صورةً عن شخصين أخطأ، وكيف تعامل الله معهما، ولكنه أيضاً صورةً عنّا جميعاً، نحن الذين أخطأنا، ويرينا الإصحاح الثالث كيف يتعامل الله معنا عندما نخنئ منه بسبب خطايانا. إنها صورة الخطية وعواقبها. وهي أيضاً صورة الله الذي يلاحق الخاطيء ليقيم معه حواراً أو مُحادثةً.

الفصل الثامن

أين أخوك؟

أحد مواضيع الكتاب المقدس الأساسية هو حاجة الإنسان للمصالحة مع الله. ولقد بادَرَ اللهُ بجعل المصالحة ممكنة، سرعانَ ما إقترفتِ الخطيئة الأولى. ففي تكوين ٣: ١٥، نجدُ النبوةَ المَسياويَّةَ الأولى تظهرُ، عندما يتكلمُ اللهُ مع الأفعى: "وأضعُ عداوةً بينك وبين المرأة وبين نسلِك ونسلِها. هو يسحقُ رأسك وأنتِ تسحقين عقبه".

مع العلم أن الحية تشيرُ إلى الشيطان، نجدُ هنا أولَ إشارةٍ في الكتاب المقدس إلى أن الله سوف يُرسِلُ شخصاً إلى هذا العالم ليصحيح الوضع. هذه النتيجة النبوية لخطيئة آدم وحواء.

ولكن كانت هناك عدة عواقب سلبية! أولاً، أن الجنس البشري انفصلَ عن الله. ثم نقرأ في الإصحاح الرابع عن عاقبة أخرى من عواقب السقوط – ألا وهي الصراع. يصفُ اللهُ الصراعَ لنا – الصراع كما كان في ذلك الزمان، لكي نفهم الصراع كما هو عليه الآن. فنحن في صراع مع نفوسنا؛ ونحن في صراع مع زوجاتنا أو أزواجنا؛ ونحن في صراع مع أولادنا ومع أهلنا؛ ونحن في صراع مع أرباب عملنا، وبالطبع نحن نشهدُ صراع الأمم مع بعضها البعض. فالصراع هو إحدى مشاكلنا الكبرى. في تكوين ٤، سوف نكتشف بعض الأسباب الرئيسية للصراع، وبعض الحلول التي يمكن أن تضعَ حداً لهذه الصراعات. يُعطينا سفرُ التكوين هذه المعلومات في شكل قصة عن شقيقتين.

هذان الشقيقتان هما مألوفان جداً عندنا – قايين وهايل. وبينما تتتابع القصة فصولاً، خطرَ لقايين فكرةً، بأن يُقدِّمَ تقدمةً لله. وبما أنه كان مُزارعاً، قدَّم للربِّ تقدمةً من ثمار الأرض. أمَّا أخاه هايل فكانَ راعياً، فقدَّم لله ذبيحةً حيوانيةً. فقبلت تقدمة هايل من الله، أمَّا تقدمة قايين فلم تُقبل.

هنا يُسيء الكثيرون فهمَ هذا القضية، ظانين أن ذبيحة هايل قبلت لأنها كانت ذبيحةً حيوانيةً. ولكن بصراحة، ليس هذا ما يقوله نصُّ الكتاب المقدس. فتقدمة هايل قبلت أمام الله لأن هايل كان مقبولاً كشخص أمام الله. وتقدمة قايين لم تُقبل أمام الله، لأن قايين كشخص لم يكن مقبولاً أمام الله (تكوين ٤: ٦-٧).

عندما تصلون إلى قصة قايين وهايل، من السهل أن تقرأوا أو تُفسرُوا ما لا يقوله النصُّ. فقايين لم يُطلب منه أن يُقدِّمَ ذبيحةً حيوانيةً. بالحقيقة، في سفر اللاويين، كان يُطلب من الشعب أن يُقدِّموا حنطةً أو غيرها من ثمار الأرض كتقدمة للربِّ. فإذاً ليس المهم في هذه

القِصَّة نَوْع التَّقْدِمَةِ؛ بل الأشخاص هُم المَهْمُومُونَ في هذه القِصَّة. فقايبينُ نفسُهُ لم يَكُنْ مقْبُولاً، وعندما إِكْتَشَفَ هذا، ثَارَ غَضْبُهُ وَأصِيبَ بِالإِكْتِنَابِ وَالإِحْبَابِ.

وتماماً كما فعلَ اللهُ سابقاً معَ والدَي قاييين، آدمَ وحوّاءَ، سألَ اللهُ قاييينَ: "لماذا إِغْتَضَبْتَ ولماذا سَقَطَ وَجْهُكَ؟" (تكوين ٤: ٦) بالطَّبْعِ، كانَ اللهُ يَعْرِفُ الأَجوبَةَ على هذه الأَسْئَلَةِ. ولكنَّ قَلْبَ قاييين العَنِيدِ لا يَبْدُو أَنَّهُ فَهَمَ قَصْدَ اللهِ من سؤاليهِ، فتابعَ اللهُ بالقول: "إن أحسنتَ أفلا رَفَعْتَ، وإن لم تُحسِنْ فَعِنْدَ البابِ حَظِيَّةٌ رابِضَةٌ، وإليكِ إِشْتِياقُها، وأنتِ تَسوُدُ عَلَيها." (تكوين ٤: ٧) وللأسفِ الشَّدِيدِ، لم يَضْبُطْ قاييين نفسَهُ فيما يَتعلَّقُ بهذه الحَظِيَّةِ، بل نَقَرَ في العدد الثَّامِنَ أَنَّهُ قَتَلَ أخاهُ في مَوْجَةِ غَضَبِ عارِمِ.

فجاءَهُ سؤالُ اللهُ مُجَدِّداً، "أينَ أخوكَ؟" ماذا فَعَلْتَ؟" ولكنَّ قاييين ظلَّ مَتَمَسِكاً بِعِنادِهِ، رافِضاً الإِعْتِرافَ بِحَظِيَّتِهِ، إلى أن فضَحَهُ اللهُ صِراحةً، مُخْبِراً إِيَّاهُ بأنَّهُ يَعْلَمُ بما جَرى. (تكوين ٤: ٩-١٠).

في تكوين ٣ كانَ السُّؤالُ: "أينَ أنتَ؟" وفي تكوين ٤ صارَ السُّؤالُ، "أينَ أخوكَ؟" لقد حاولَ اللهُ بِطَرَحِهِ هذا السُّؤالَ، أن يجعلَ قاييين يَعْتَرِفُ وَيُدْرِكُ ما حصلَ بالفعلِ – أَنَّهُ صَبَّ جامَ غَضَبِهِ على شَخْصِ بَرِيءٍ، وَأَنَّهُ رُغِمَ ذلكَ لم يَكُنْ يَزالُ غاضِباً؛ فأعمالُهُ لم تَجِدْ حَلاً لِأَيَّةِ مُشْكِلَةٍ؛ بَدَلَ ذلكَ، جعلتْ أعمالُهُ الوَضْعَ يزدادُ سَوءاً.

وإذا رَجَعنا قَلِيلاً إلى الوراءِ، نَجِدُ أَنَّ العددَ ٧ هُوَ المِفْتاحُ لِكُلِّ هذه القِصَّةِ. إِنَّهُ يُعالِجُ قَلْبَ قَضِيَّةِ الصِّراخِ، وَيُقَدِّمُ الحَلَّ: إن أحسنتَ، سوفَ تَكُونُ مَقْبُولاً أمامَ اللهِ، وأمامَ نَفْسِكَ، ولن يَتوجَّبَ عَلَيْكَ أن تقضِيَ حياتَكَ وأنتِ تُضْرِبُ حَتَّى المَوْتَ الشَخْصَ المَقْبُولَ أمامَ اللهِ. هُنَاكَ مَقْطَعٌ في كلمةِ اللهِ، مِنَ المَوْعِظَةِ على الجَبَلِ، يَتَوازى مَعَ قِصَّةِ قاييين وهابيلِ. نَجِدُ هذا المَقْطَعِ في الأعدادِ الخَمْسَةِ الأولى مِنَ الإصحاحِ السَّابعِ من إنجيلِ متى. يَطْرَحُ يسوعُ أسْئَلَةً على الأشخاصِ دَوِي الرُّوحِ الإِنْتِقَادِيَّةِ المُفْرِطَةِ. يسألُهُم لماذا هُم إِنْتِقَادِيُونَ إلى هذا الحَدِّ، وكيفَ يَتوقَّعونَ أن يَكُونُوا نافعِينَ مَعَ هكذا رُوحِ إِنْتِقَادِيَّةٍ؟ وَيَسْتخدِمُ الإيضاحَ السَّاخِرَ بأنَّهُم يُشبهُونَ شَخْصاً يَبْحَثُ عن قَدَيِّ في عَيْنِ أخيه وَيَتغافلُ عن الخَشْبَةِ في عَيْنِهِ.

يَعْتَقِدُ الكَثِيرُونَ أَنَّ هذا المَقْطَعِ يُعَلِّمُنَا أن لا نَحْكُمَ على الآخرينِ. ولكنَّ يسوعَ كانَ يَقُولُ بالحَقِيقَةِ ما أرادَ اللهُ أن يُعَلِّمَهُ لِقاييين: "أنتِ لا تَنْتَظِرُ إلى القَضِيَّةِ الصَّحِيحَةِ. تَوَقَّفِ عن الإِنْشِغالِ بِأُمُورِ أخيكَ وعن إِنْتِقَادِهِ، واهتَمِّ بِشُؤُونِكَ أنتِ وبإِنْتِقَادِ نَفْسِكَ."

ولكن شُكراً لله أن مَوْتَ هابيلِ لم يَقْضِ نهائياً على كُلِّ خَيْرِ. فَبَعْدَ جِيلَيْنِ، كما نَجِدُ في تكوين ٤: ٢٦، نرى أوَّلَ مَثَلٍ عن إنسانٍ يُحاولُ الإِتِّصالَ باللهِ بواِسطَةِ الصَّلَاةِ. وَحَتَّى ذلكَ الحِينِ، كانَ التَّواصُلُ بَيْنَ اللهِ وَالإنسانِ مَبْنِيّاً دائِماً على مُبادَرةٍ مِنَ اللهِ.

نحن جميعاً نتعامل مع الصِّراعاتِ طِوالِ الوقتِ. أحياناً لا نَكُونُ نحنُ مَصَدَرَ هذه الصِّراعاتِ؛ وأحياناً أُخرى نَكُونُ نحنُ مَصَدَرُها. ولكن في كُلِّ وقتٍ تَجِدُونَ أَنفُسَكُمْ وَسَطَ صِراعِ ما، حاولوا أن تُسَيِّطِرُوا على عواطفِكُمْ بِشكْلِ كافٍ يَسْمَحُ لَكُمْ أَنْ تَتَسَاءَلُوا عَمَّا هِيَ حَقِيقَةُ المُشكِلَةِ. ثُمَّ، وكما يَقْتَرِحُ تَكْوِينِ ٤ : ٧، اِعْمَلُوا ما هُوَ صَوَابٌ، كُونُوا مَقْبُولِينَ أَمَامَ اللَّهِ وَأَمَامَ نُفُوسِكُمْ، لكي لا يَتَوَجَّبَ عَلَيْكُمْ قِضاءَ حَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هَابِيلَ حَتَّى المَوْتِ.

الفصل التاسع

أبو الإيمان

نَصِلُ الآنَ إلى أكبرِ قِسمٍ من سفرِ التَّكوينِ، والذي له علاقةٌ بثلاثةِ شَخِصِيَّاتٍ كِتَابِيَّةٍ مَشهُورَةٍ: إبراهيمَ، يَعْقُوبَ، ويُوسُفَ. تَذَكَّرُوا أَنَّ المِساخَةَ المُخَصَّصَةَ لِمَوْضُوعٍ مُعَيَّنٍ تَدُلُّ على مقدارِ أَهَمِّيَّةِ هذا الموضوعِ. إِنَّ مَوْضُوعَ هذا القِسمِ الثَّانِي من سفرِ التَّكوينِ، والذي يُخْبِرُنَا بِقِصَّةِ إبراهيمَ، هُوَ الإِيمانُ. فبينما ندرُسُ الإِصحاحاتِ القَلِيلَةَ التَّالِيَةَ، يُرِيدُنَا اللهُ أَنْ نَفْهَمَ الإِيمانَ كما كانَ، وكما هُوَ عليه الآنَ.

يَقُولُ الإِصحاحُ الحادي عشر من الرِّسالةِ إلى العِبرانيين، والذي يُعَرِّفُ بِإِصحاحِ الإِيمانِ في الكتابِ المُقدَّسِ حَوْلَ هذا المَوْضُوعِ: "بِدُونِ إِيْمَانٍ لا يُمَكِّنُ إِرْضَاؤُهُ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ الذي يَأْتِي إلى اللهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَأَنَّهُ يُجَاوِزُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ." عبرانيين ١١ : ٦ .

بما أَنَّ الإِيمانَ هُوَ أمرٌ في غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ، واللهُ يُرِيدُنَا أَنْ نَفْهَمَ الإِيمانَ، لذلكِ يُخْبِرُنَا اللهُ قِصَّةَ رَجُلٍ إِسْمُهُ إبراهيمَ. هذا الرَّجُلُ أَتى على ذِكْرِهِ العَهْدُ الجَدِيدُ أَكْثَرَ مِمَّا أَتى على ذِكْرِ آيَةِ شَخِصِيَّةٍ كِتَابِيَّةٍ أُخْرَى، على أساسِ أَنَّهُ دائِماً لَهُ عِلاقَةٌ بالإِيمانِ. فإذا أَرَدْتُمْ أَنْ تَفْهَمُوا الإِيمانَ، عَلَيْكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا إبراهيمَ.

إِسْمُهُ

يُعْتَبَرُ هذا الرَّجُلُ تَعْرِيفاً حَيّاً مُتَحَرِّكاً للإِيمانِ. عندما إلتَقينا بِهِ لِلْمَرَّةِ الأُولَى في نِهايَةِ الإِصحاحِ الحادي عشر من سفرِ التَّكوينِ، كانَ إِسْمُهُ أِبْرَامَ، الذي يَعْنِي، "أَبُو أَبْناءِ عَدِيدِينَ." وكانَ هذا الإِسْمُ مَدْعَاةً لِلسُّخْرِيَّةِ لِرَجُلٍ عَجُوزٍ في الخَامِسَةِ والسَّبْعِينَ من عُمُرِهِ، وَلَيْسَ لَهُ وُلْدٌ. وَلَكِنَّ اللهُ قالَ لِإِبْرَاهِيمَ، "وأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرابِ الأَرْضِ. حَتَّى إِذا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعْذَّ ثَرابَ الأَرْضِ، فَنَسَلُكَ أَيضاً يُعَدُّ." (تكوين ١٣ : ١٦). ومن جِلالِ طاعَةِ إبراهيمَ الأَمِينَةِ لتعليماتِ اللهُ بِحِذافيرِها، بِإِمكانِنا أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّهُ وثِقَ بِاللَّهِ في هَذِهِ القَضِيَّةِ، على الأقلِ في مُعْظَمِ الأوقاتِ. (أَنْظُرْ تَكوينَ ١٦)

مَذابِحُهُ

عَادَةً نَظُنُّ أَنَّنَا مَدْعُوبِينَ لِلخِدْمَةِ في حَقْلِ إِرساليٍّ أو في كَنيسةٍ أو في مُؤَسَّسَةٍ ما. وَلَكِنْ هَلْ نُفَكِّرُ أَنَّنَا مَدْعُوبِينَ بِبِساطَةِ اللهِ؟ ماذا لو دَعَاكَ اللهُ لِلخُرُوجِ إلى بَرِيَّةٍ مَهْجُورَةٍ بِدُونِ أَنْ

يُخْبِرُكَ عَنِ السَّبَبِ؟ هَذَا مَا حَدَّثَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَمَا كَانَ فِي الْخَامِسَةِ وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمُرِهِ (أَنْظُرْ تَكْوِين ١٢ : ١-٤). فَلَقَدْ دَعَا اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَتْرَكَ أَبَاهُ، وَطَنَهُ، وَعَشِيرَتَهُ، وَأَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَرْضِ بَرِّيَّةٍ.

هُنَاكَ وَجْهَانِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ، تَمَاماً كَمَا هِيَ الْحَالُ مَعَ كُلِّ قِصَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ: اللَّهُ مِنْ جِهَةٍ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. لِكَيْ تَرَى الْقِصَّةَ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِ اللَّهِ، أَدْرُسُ ظُهُورَاتِ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ. فَلَقَدْ ظَهَرَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ثَمَانِي مَرَّاتٍ. وَكَانَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي بَادَرَ بِالْعَلَاقَةِ، وَهَذَا يَصْدُقُ عَلَى كُلِّ عِلَاقَةٍ أَقَامَهَا اللَّهُ مَعَ الْإِنْسَانِ. فِي رُومِيَّةِ ٣ : ١١، يُخْبِرُنَا بُولُسُ أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَطْلُبُ اللَّهَ. بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْعَى وَرَاءَ الْإِنْسَانِ. وَإِذَا بَدَأَ إِنْسَانٌ مَا وَكَأَنَّهُ يَسْعَى وَرَاءَ اللَّهِ، فَهُوَ يَسْتَجِيبُ فَقَطْ لِسَعْيِ اللَّهِ وَرَاءَهُ. فَاللَّهُ هُوَ دَائِماً الْمُبَادِرُ فِي كُلِّ عِلَاقَةٍ.

أَمَّا عَنِ الْعِلَاقَةِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الْإِنْسَانِ، أَوْ عَنِ تَجَاوُبِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ اللَّهِ، فَهَذَا نَرَاهُ فِي شَكْلِ الْمَذَابِحِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ. الْمَذْبَحُ الْأَوَّلُ بِنَاؤُهُ فِي بَرِّيَّةِ مُورَةَ، حَيْثُ ظَهَرَ اللَّهُ لِأِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ، "لِنَسْلِكَ أَعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ (تَكْوِين ١٢ : ٧). تَعْنِي كَلِمَةُ مُورَةَ حَرْفِيًّا "تَعْلِيمٌ أَوْ تَفْتِيشٌ أَوْ طَلَبٌ". أَنَا أَدْعُو هَذَا الْمَذْبَحَ الْأَوَّلَ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِمَذْبَحِ التَّجَاوُبِ، لِأَنَّهُ بُنِيَ تَجَاوُباً مَعَ اللَّهِ الَّذِي كَانَ يَدْعُو إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.

الْمَذْبَحُ الثَّانِي بِنَاؤُهُ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَ عَايٍ وَبَيْتِ إِيلٍ. تَعْنِي كَلِمَةُ "بَيْتِ إِيلٍ" بِالْعِبْرِيَّةِ، "بَيْتَ اللَّهِ". وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ، يَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَانَتْ تَعْنِي، "الْمَكَانُ حَيْثُ يَمْكُثُ اللَّهُ". وَتَعْنِي عَايٍ، "خَرْبَةٌ، أَوْ رُكَامٌ، أَوْ بُولُسُ". نَقَرْنَا فِي رُومِيَّةِ ٦ : ٢٣ أَنَّ "أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتٌ"، وَأَنَّ هَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ إِسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ. وَإِلَى الشَّرْقِ مِنْ عَايٍ، نَجِدُ سَدُومَ وَعَمُورَةَ. فِي مَذْبَحِهِ الْأَوَّلِ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِلَّهِ، "عَلِّمْنِي". وَفِي مَذْبَحِهِ الثَّانِي، أَظْهَرَ مِنْ خِلَالِ الْمَكَانِ الَّذِي أَقَامَ فِيهِ الْمَذْبَحَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَرَّرَ بَعْدُ كَيْفَ سَيَتَجَاوَبُ مَعَ مَا كَانَ يُعَلِّمُهُ إِيَّاهُ اللَّهُ.

تَرَكَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا الْمَذْبَحَ الثَّانِي وَانْحَدَرَ جَنُوباً، بِالْمَعْنَى الْجُغْرَافِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ لِلْكَلِمَةِ. وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ أَنْ تَدْعِي أَنَّهَا أُخْتُهُ، حَتَّى لَا يَقْتُلَهُ الْمِصْرِيُّونَ لِأَخْذُونَهَا. وَلَقَدْ تَوَرَّطَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَشَاكِلِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ "خَرَجَ" مِنْهَا رُوحِيًّا.

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَوْقِعِ مَذْبَحِهِ الثَّانِي وَدَعَا اللَّهَ. بَعْدَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الصَّادِقَةِ، اقْتَرَحَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى لُوطٍ أَنْ يَنْفَصِلَا. لَا يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَمَّا تَكَلَّمَا بِهِ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ اللَّهَ أَشَارَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفْتَرَضُ بِهِ أَنْ يُحْضِرَ لُوطاً مَعَهُ مِنْذُ الْبِدَايَةِ. وَعِنْدَمَا نَرَى كَيْفَ تَوَرَّطَ لُوطٌ فِيمَا بَعْدَ فِي خَطَايَا سَدُومَ وَعَمُورَةَ، نَفْهَمُ السَّبَبَ.

ذَهَبَ لُوطٌ شَرْقاً؛ أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَتَحَرَّكَ غَرْباً، وَبَنَى مَذْبَحَهُ الثَّلَاثِ فِي مَكَانٍ يُدْعَى حَبْرُونَ. تَعْنِي كَلِمَةُ حَبْرُونَ، "شَرِكَةٌ". أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ أَيْضاً مَجَازِيَّةٌ رَمْزِيَّةٌ. فَبَيْنَمَا قَالَ الْمَذْبُوحُ الْأَوَّلُ "عَلِّمْنِي"، وَقَالَ الْمَذْبُوحُ الثَّانِي، "لَسْتُ مُتَأَكِّدًا، أَوْ أَنَا مُتَقَلِّفٌ"، أَشَارَ الْمَذْبُوحُ الثَّلَاثُ بِالْقَوْلِ، "يَا اللَّهُ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَكَ." وَأَنَا أُسَمِّي هَذَا الْمَذْبُوحَ: "مَذْبُوحَ الْعِلَاقَةِ".

فِي الْإِصْحَاحِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ، أَيِ تَكْوِينِ ١٢ وَ ١٣، بَنَى إِبْرَاهِيمُ ثَلَاثَةَ مَذَابِحَ. وَلَمْ يَبِينْ مَذْبُوحاً آخَرَ حَتَّى الْإِصْحَاحِ ٢٢. فَمَاذَا حَدَّثَ بَيْنَ الْمَذْبُوحِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ؟

عِنْدَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ، "يَا اللَّهُ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَكَ"، أَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ أَجَابَ، "يَا إِبْرَاهِيمُ، إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَلَى عِلَاقَةٍ مَعِي، أُرِيدُكَ أَنْ تَعْرِفَ شَيْئاً. إِنْ كُنْتُ أَنَا أَعْنِي شَيْئاً، فَأَنَا كُلُّ شَيْءٍ. لِأَنَّكَ إِلَى أَنْ تَرَى أَنَّي كُلُّ شَيْءٍ، لَنْ تَكُونَ قَدْ رَأَيْتَ أَنَّي أَعْنِي أَيَّ شَيْءٍ." وَلَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ إِبْرَاهِيمَ مَلِيئَةً مِنْ أُمُورٍ أُخْرَى لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْهَا.

فِي تَكْوِينِ ١٦، نَرَى إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ يُصْبِحَانِ مُهْتَمِّينَ بِكَيْفِيَّةِ تَحْقِيقِ اللَّهِ لَوَعْدِهِ بِإِعْطَائِهِ إِبْرَاهِيمَ نَسْلاً – فَقَرَّرَا أَنْ يُسَاعِدَا اللَّهَ عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْوَعْدِ. وَنُزُولاً عِنْدَ اقْتِرَاحِ زَوْجَتِهِ، أَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عِلَاقَةً مَعَ جَارِيَةِ زَوْجَتِهِ الْمِصْرِيَّةِ هَاجَرَ (تَكْوِينِ ١٦: ١ - ٤). وَوُلِدَ نَتِيجَةً لِهَذِهِ الْعِلَاقَةِ الطِّفْلُ إِسْمَاعِيلُ، الَّذِي أَصْبَحَ أَبَا الْعَرَبِ، مَعَ مَا نَتَجَّ عَنْ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ مَا نَعْرِفُهُ مِنْ صِرَاعَاتٍ بَيْنَ شُعُوبِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، مَا كَانَتْ لِنَحْدُثِ لَوْلَا ظَنُّ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ اللَّهَ إِحْتِاجَ لِمُسَاعَدَتِهِ.

أَعْتَقِدُ أَنَّ سَارَةَ تُمَثِّلُ نَوْعاً آخَرَ مِنَ الْمَشْكِلَةِ فِي عِلَاقَةِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ اللَّهِ. فَالْمَذْبُوحُ الثَّلَاثُ، مَذْبُوحُ الْعِلَاقَةِ، يَتَعَامَلُ مَعَ الْعِلَاقَةِ الْعُمُودِيَّةِ وَالْعِلَاقَةِ الْأُفْقِيَّةِ. وَهُمَا لَا تَنْفَصِلَانِ. فَلَكَي يَعْرِفَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهَ، تَوَجَّبَ أَنْ يَأْخُذَ اللَّهَ مَكَانَتَهُ الصَّحِيحَةَ فِي كُلِّ عِلَاقَاتِ إِبْرَاهِيمَ. وَهَكَذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ لُوطٍ لِيُخْرِجَهُ مِنْ حَيَاتِهِ. يُشِيرُ لُوطٌ إِلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ نَضَعُهُمْ فِي حَيَاتِنَا، وَالَّذِينَ لَا يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا فِي حَيَاتِنَا. وَلَقَدْ تَوَجَّبَ أَيْضاً أَنْ يُحَيِّدَ اللَّهَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ. يُشِيرُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى عَامِلِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَعْنِي أَنَّ أَعْظَمَ مُنَافِسٍ لِلأَحْسَنِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ اللَّهُ، هُوَ أَمْرٌ حَسَنٌ. فَظَهَرَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِسْمَاعِيلَ بَعِيداً. وَهَكَذَا أَقْصَى اللَّهُ وَاجِداً بَعْدَ الْآخِرِ الَّذِينَ إِحْتَلُّوا الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ.

لَقَدْ شَكَّلَتْ سَارَةَ نَوْعاً آخَرَ مِنَ الْمَشْكِلَةِ. إِنَّهَا صُورَةٌ عَنِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَضَعُهُمُ اللَّهُ فِي حَيَاتِنَا، وَلَكِنَّا لَا نَعْتَبِرُهُمْ مِنْ تَدْبِيرِ اللَّهِ. وَهَكَذَا ظَهَرَ اللَّهُ مَرَّتَيْنِ لِإِبْرَاهِيمَ لِيُحَيِّدَهُ عَنْ سَارَةَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَّةِ، قَالَ لَهُ، "سَارَايَ إِمْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو إِسْمَهَا سَارَايَ بَلْ سَارَةَ. وَأَبَارِكُهَا وَأَعْطِيكَ أَيْضاً مِنْهَا ابْنًا." (تَكْوِينِ ١٧: ١٥ - ١٦). عِنْدَمَا سَمِعَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا الْكَلَامَ، سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ! وَعِنْدَمَا سَمِعَتْ سَارَةَ ضَحِكْتَ هِيَ أَيْضاً!

بعد سنّة، وُلِدَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ، وَقَالَ لَهُمَا اللَّهُ أَنْ يُسَمِّيَاهُ إِسْحَقَ، الَّذِي يَعْنِي بِالْعِبْرِيَّةِ "ضَحْكَةً". ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَنْسَ بَطْلًا الْإِيمَانَ هَذَا أَنْهُمْ ضَحِكَا عَلَى اللَّهِ عِنْدَمَا أَخْبَرَهُمَا بِمَا هُوَ فَاعِلُهُ لَهُمَا.

وأخيراً، عندما أصبحَ إِسْحَقُ شاباً، بنى إبراهيمُ مذبحه الرابع، وكانَ هذا أهمَّ مذابح إبراهيم. لقد بُنيَ على جَبَلِ المَرِيَا. وتعني كلمة مَرِيَا، "يَهْوَةٌ يُدَبِّرُ". فحتَّى تلك المرحلة، كانَ إبراهيمُ هُوَ الذي يختارُ المكانَ الذي يبني فيه مذبحاً للرَّبِّ، ولكنَّ هذا المذبحَ الرابعَ كانَ مُخْتَلِفاً. فهذه المرّة، اللهُ هُوَ الذي إختارَ المكانَ. وهذه المرّة، اللهُ هُوَ الذي سمَّى الذبيحة – إِسْحَقَ.

لم يكنْ إِسْحَقُ فقط ابنَ شَيْخُوخَةٍ إبراهيمَ وَسَارَةَ، بل وكانَ أيضاً إتمامَ وُعودِ خمسةٍ وعشرينَ سنّةً مِنَ الإيمانِ. والآنَ، ها هُوَ اللهُ يَقُولُ مَا يُناقِضُ المَنطِقَ، "أريدُ إِسْحَقَ ذبيحةً". فأخذَ إبراهيمُ الصَّبِيَّ إِسْحَقَ إلى رأسِ الجَبَلِ، عاقِدَ العزمِ، وإن يكنْ برُعبٍ، على إتمامِ ما طَلَبَهُ اللهُ مِنْهُ. ولكن في اللحظة الأخيرة، وعندما قدَّمَ إبراهيمُ بُرهاناً على طاعته، دَبَّرَ اللهُ كَبْشاً لِيَكُونَ ذبيحةً فديةً لِحياةِ إِسْحَقَ (تكوين ٢٠: ١-١٩) فدعا إبراهيمُ إِسْمَ المكانِ يَهْوَةَ يَرَاهُ، الذي يعني، "يَهْوَةٌ يُدَبِّرُ". هذا الرَّمزُ الإيمانيُّ يُشيرُ من خلالِ مذابحِ إبراهيم، أَنَّهُ على جِبَالِ إختيارِ اللهِ، وعلى مَذْبَحِ "اللهِ أَوْلَا"، دَبَّرَ اللهُ ثمرَةً رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الإيمانِ. فإبراهيمُ لم يَقْدَمْ إِسْحَقَ على هذا المذبحِ الرابعِ. بل قدَّمَ إبراهيمُ نفسه ذبيحةً على مَذْبَحِ "اللهِ أَوْلَا".

إنَّ رسالةَ الكتابِ المُقدَّسِ يُمكنُ أن تَتَلَخَّصَ بِكَلِمَتَيْنِ: اللهُ أَوْلَا. ولكنَّ هذا ليسَ سهلاً، ولا هُوَ مَعَقِّدٌ. فإمَّا أن يَكُونَ اللهُ إِلَهُكَ أو لا يَكُونَ. بالنِّسبةِ لإبراهيمَ، كانَ اللهُ إِلَهُهُ.

الفصل العاشر

مَنْ أَنْتَ؟

إِنَّ قِصَّةَ يَعْقُوبَ هِيَ قِصَّةٌ تَتَخَطَّى الْعَقْلَ. فإِسْمُ يَعْقُوبَ يَعْنِي "الْمُتَعَقِّبُ"، لِأَنَّهُ عِنْدَمَا وُلِدَ هُوَ وَأُخُوهُ التَّوَامُ، كَانَ يُمَسِّكُ بِعَقَبِ أَخِيهِ الَّذِي وُلِدَ مَقْلُوباً رَأْساً عَلَى عَقَبِ. وَلَقَدْ عَاشَ يَعْقُوبُ بِطَرِيقَةٍ تُؤَكِّدُ مَا يَعْنِيهِ إِسْمُهُ. كَانَ يُوجَدُ أَمْرَانِ يَسْتَحِقَّانِ الْعَنَاءَ فِي عَائِلَتِهِ، وَلَقَدْ تَعَقَّبَ بِهِمَا يَعْقُوبُ مَعاً. البُكُورِيَّةُ وَالْمِيرَاثُ، اللَّذَانِ كَانَ مِنْ حَقِّ الإِبْنِ البِكْرِ؛ وَكَانَتِ البَّرَكَةُ هِيَ الوَعْدُ الَّذِي قَطَعَهُ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالَّذِي انْتَقَلَ إِلَى أَبِيهِ مَا إِسْحَقَ، وَكَانَ سَيَنْتَقِلُ إِلَى الإِبْنِ الأَكْبَرِ. وَلَكِنَّ عَيْسُو أَخَا يَعْقُوبَ بَاعَ بُكُورِيَّتَهُ لِيعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ صَحْنِ حِسَاءٍ، وَخَدَعَ يَعْقُوبَ أَبَاهُ إِسْحَقَ وَسَرَقَ البَّرَكَةَ مِنْ أَخِيهِ. وَبَعْدَ أَنْ خَدَعَ يَعْقُوبَ أَبَاهُ وَأَمْسَكَ بِحَقِّ البُكُورِيَّةِ وَبِالبَّرَكَةِ، جَاءَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ لَهُ، "عَلَيْكَ أَنْ تُغَادِرَ يَا يَعْقُوبَ، لِأَنَّ أَخَاكَ سَوْفَ يَقْتُلُكَ. إِذْهَبْ وَاخْتَبِئْ مَعَ خَالِكَ لِابْنِ لَبْنَةَ أَيَّامٍ إِلَى أَنْ تَهْدَأَ الأَوْضَاعُ." (تكوين ٢٧: ٤٢ - ٤٣)

فِي اللَّيْلَةِ الأُولَى الَّتِي غَابَ فِيهَا يَعْقُوبُ عَنْ بَيْتِهِ، حَلَمَ حُلْماً. وَفِيهِ رَأَى سُلْماً تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ. فِي هَذَا الحُلْمِ، ظَهَرَ لَهُ اللهُ، وَأَكَّدَ لَهُ العَهْدَ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ. وَلَقَدْ وَعَدَ اللهُ بِأَنْ يَجْعَلَ يَعْقُوبَ جُزْءاً لَا يَتَجَرَّأُ مِنْ حُطَّتِهِ، قَائِلاً، "وَهَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ وَأُرْدُكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ. لِأَنِّي لَا أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ." (تكوين ٢٨: ١٥).

إِسْتَفَاقَ يَعْقُوبُ مِنْ هَذَا الحُلْمِ مَمْلُوءاً بِالرَّهْبَةِ، وَقَالَ، "حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا المَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ." (تكوين ٢٨: ١٦) وَقَبْلَ أَنْ يُتَابِعَ رِحْلَتَهُ، أَخَذَ الحَجَرَ الَّذِي وَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، وَأَقَامَهُ عَمُوداً وَصَبَّ زَيْتاً عَلَى رَأْسِهِ، وَقَطَعَ عَهْداً بِأَنْ يَدْفَعَ عَشْرًا مِنْ كُلِّ مَا يُعْطِيهِ إِيَّاهُ اللهُ (تكوين ٢٨: ١٨ - ٢٢).

مَعْرَكَةُ يَعْقُوبَ

هُنَا، مَا سَيَحْدُثُ لِاحْتِمَالِ الجُزْءِ الأَسَاسِيِّ مِنْ قِصَّةِ يَعْقُوبَ. فَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً مِنْ العَمَلِ الشَّاقِّ مَعَ خَالِهِ لَبْنَةَ، اجْتَازَ يَعْقُوبُ فِي إِخْتِبَارِ رُوحِيٍّ شَخْصِيٍّ جَدًّا مَعَ اللهُ. نَجِدُ وَصْفًا لِهَذَا الإِخْتِبَارِ فِي الإِصْحَاحِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ، حَيْثُ نَقَرْنَا: "...وَصَارَ عَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرْبَ حَقٍّ فَخَذَهُ. فَانْخَلَعَ حَقٌّ فَخَذَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ أَطْلِقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الفَجْرُ. فَقَالَ لَا أَطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ مَا إِسْمُكَ؟ فَقَالَ يَعْقُوبَ. فَقَالَ لَا يُدْعَى إِسْمُكَ فِي مَا بَعْدَ يَعْقُوبَ بَلْ

إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني بإسمك. فقال لماذا تسأل عن إسمي. وباركه هناك. فدعا يعقوب إسم المكان فنييل. قائلاً لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي. " (تكوين ٣٢: ٢٤ - ٣٠)

لاحظوا السؤال الذي طرحه الله على يعقوب: "ما إسمك؟" في زمان الكتاب المقدس، كانت للأسماء دلالة، كما سبق واكتشفنا. فإحياناً كانت الأسماء تُخبر عن الشخص الذي كان يحمل هذا الإسم أو ذلك؛ وكانت تُعبر عن هويّة أو شخصيّة حاملها. فبهذا السؤال، لم يكن الله يسأل عن إسم يعقوب. بل كان سؤاله بالحقيقة، "من أنت؟" وبالطبع، لم تكن القضية أن الله إحتاج أن يعرف الجواب، بل لأنه أراد أن يعرف يعقوب الجواب. وإسم يعقوب يعني كما رأينا سابقاً، "المتعقب". ولكن هذا الإسم الجديد، إسرائيل، والذي ستسمعه ذريته، كان يعني، "جاهد مع الله".

هناك عنصر آخر ذو دلالة في هذه القصة والذي لا يمكننا أن نفوته، وأسميه "بركة تاج المخلّع". فلأن يعقوب كان محتالاً، لم يكن بوسع الله أن يباركه قبل أن يكسره.

أحياناً لا يمكن أن يصل الله إلينا بطريقة أخرى، ولهذا يتوجب عليه أن يجعلنا نصبح مخلّعين بطريقة أو بأخرى، مرغماً إيانا للإعتماد عليه. هكذا كانت الحال مع يعقوب. وأخيراً، فهم يعقوب رسالة الله له. وعندما التقى أخيراً مع عيسو، الذي لم يتصارع معه، بل وقع على عنقه وقبله، أخبر يعقوب أخاه أنه كان لديه هذه الزوجات والأولاد والقطعان، "لأن الله قد أنعم عليه." (تكوين ٣٣: ١١). أي أنه لم يعترف بأنه إنتزعه لهم لكونه متعقباً، بل بسبب نعمة الله. النعمة هي تلك الصفة من صفات الله التي تجعله يُعِدُّ علينا بركات لا نستحقها. والرحمة هي عندما يحجب الله عنا ما نستحقه.

يُعَلِّمنا الله أيضاً أن نخضع له. أحياناً يختار الله أن يخضعنا بكسرنا، لكي يستطيع أن يباركنا. نحتاج أن نُفتش في ثلاثة اتجاهات لكي نرى من يُفترض بنا أن نكون. أولاً، نحتاج أن ننظر إلى فوق. فمن خلال قصص الكتاب المقدس التي سندرسها معاً، سوف نرى أنه سيتطلب الله الوقت الطويل لكي يجعل الناس يتطلعون إلى فوق. ولكن النظر إلى الله هو أمر ضروري إذا أردنا أن نكتشف من يُفترض بنا أن نكون. فقبل كل شيء، الله هو الذي صنعنا. وهو يحمل خطّة حياتنا.

ثانياً، نحتاج أن ننظر إلى داخلنا. في المزمور ١٣٩، صلى داود قائلاً، "إخترني يا الله واعرف قلبي. إمتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أديباً." (مزمور ١٣٩: ٢٣ - ٢٤). جميعنا نحتاج أن نطلب من الله أن ينظر إلى داخل قلوبنا وحياتنا، وأن يُرينا من يُريدنا أن نكون.

أخيراً، نحتاج أن ننظرَ حَوْلَنَا. فالشَّخْصُ الَّذِي نَنْظُرُ إِلَى فَوْقِ وَالَّذِي نَنْظُرُ حَقًّا إِلَى دَاخِلِ
نَفْسِهِ، هُوَ حَاضِرٌ الْآنَ أَنْ يَنْظُرَ حَوْلَهُ وَأَنْ يَتَعَاطَى مَعَ الْآخَرِينَ وَأَنْ يَكُونَ جُزْءاً مِنْ خُطَّةِ
اللَّهِ لِلْعَالَمِ. هَلْ سَبَقَ وَنَظَرْتَ إِلَى فَوْقِ، إِلَى اللَّهِ، لَتَرَى مَاذَا يَقُولُ عَنْ هُوَيْتِكَ فِي شَخْصِهِ؟
وَكَمْ مَرَّةً تَنْظُرُ إِلَى دَاخِلِ نَفْسِكَ لَتَرَى حَالَةَ قَلْبِكَ؟ وَهَلْ تَنْظُرُ إِلَى مَا حَوْلَكَ لَتَرَى كَيْفَ
يُرِيدُكَ اللَّهُ أَنْ تَتَعَاطَلَ مَعَ الْآخَرِينَ فِي حَيَاتِكَ؟

الفصل الحادي عشر

الله الذي يُسيطر على الوضع

لقد درّسنا حتّى الآن حياة إبراهيم، الذي علّمنا عن الإيمان. ولقد نظرنا إلى حياة يعقوب، الذي أظهر لنا نعمة الله. والآن نصل إلى حياة يوسف، الذي تُغطّي قصّته الإصحاحات الأربعة عشر الأخيرة من سفر التكوين.

يبدو أنّ يوسف هو صاحب أنقى شخصيّة في الكتاب المقدّس. ففي حال معظم شخصيّات الكتاب المقدّس، يُرينا الله نقاط ضعفهم، كما ويُرينا نقاط قوتهم، أمّا يوسف فهو واحد من الاستثناءات على هذه القاعدة (الآخر هو دانيال الذي سندرسه لاحقاً).

قصّة يوسف

تدور قصّة يوسف بالحقيّة حول العناية الإلهيّة. رسالة هذه القصّة تتلخّص في عددي واحد في العهد الجديد، هو رومية ٨: ٢٨، والذي يقول، "ونحن نعلم أنّ كلّ الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبّون الله، الذين هم مدعوون حسب قصدِهِ." لقد اضطرب إخوة يوسف كثيراً عندما اكتشفوا من كان أخوهم، ولكنّه تجاوب معهم بهذه الكلمات المعزّية – كلمات تؤكد لنا كون الله يعمل خلف السّتار في حياتنا أيضاً: "والآن لا تتأسّفوا ولا تعناظوا لأنكم بعثتموني إلى هنا. لأنّه لإستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم... ليجعل لكم بقيّة في الأرض وليستبقي لكم نجاهاً عظيمة. فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بلّ الله." (تكوين ٤٥: ٥، ٧-٨).

في قصّة يعقوب، أبي يوسف، رأينا رجلاً كانت حياته تسير على ما يرام، ولكن ليس لأنّه هو الذي جعلها كذلك. بلّ الله كان هو المسيطر طوال الوقت. يوضّح يوسف هذه الحقيقة نفسها، ولكن من زاوية أخرى. ففي قصّته، نجد رجلاً لم تبدّ حياته أنّها تسير على ما يرام. فلقد بيع عبداً من قبل إخوته؛ ثمّ إنهم زوراً بجرّيمة لم يقتربوها؛ ونسي من أولئك الذين وعدوا بأن يساعده. ولكن أياً من تلك الظروف لم تحدث نتيجة لتصرّفاتِهِ هو. لقد كان يجتاز في مشاكل وظروف صعبة للغاية، ليس لأنّه استحقّها، بلّ لكي يتمجّد الله ولكي تستمرّ خطّته.

تطبيقات لعصرنا الحاضر

تُقدِّم لنا القِصَّةُ بضعَ تطبيقاتٍ لحياتنا الشَّخصيَّةِ. أولاً، تأمَّلوا بالعلاقات التي كانت بين يوسف وأبيه وإخوته. لقد كان هذه العلاقات بعيدةً عن أن تكونَ نموذجيَّة! فواضحٌ أنَّه لم يكنْ يعقوبُ والداً مثاليَّاً. فتحيرُهُ تجاهُ يوسفِ جلبَ على ابنه هذا ألماً وعذاباً أكثرَ من الرِّاحة – وبالطَّبعِ لم يكنْ هذا عادلاً بالنِّسبةِ لباقي الأولاد. ولكنْ مَنْ مَنَّا لديه والدين كاملين؟ وكم مَنَّا لدينا علاقاتٍ كاملةٍ معَ أشقائنا؟ فنحنُ لم نختَرِ العائلةَ التي تربَّينا فيها، ورُغمَ ذلكَ فأعضاؤها يُشكِّلونَ حياتنا. كثيرُونَ مَنَّا لديهم أجنحةٌ مُتكسِّرةٌ أو قلوبٌ مجرَّوحةٌ أو مصاعبٌ في حياتنا، نتيجةً لهذه العلاقات. ولكنَّ الرِّسالةَ التي تُقدِّمها لنا قِصَّةُ يوسفِ هي التَّاليَّة: اللهُ يسوِّدُ على ظُروفِ حياتنا، ولا توجدُ أوضاعٌ سيِّئةٌ لدرجةٍ أنَّ اللهَ لا يستطيعُ فداءها وإستخراجَ الخيرِ منها. فاللهُ يستطيعُ أن يستخدِمَ تأثيرَ والديك حتَّى ولو كانا مُذنبين. واللهُ قادرٌ أن يستخدِمَ تأثيرَ أشقائك وشقيقاتك حتَّى ولو كانوا مُذنبين. لقد إستخدِمَ اللهُ عداوةَ عائلةِ يوسفِ، لكي يضعَهُ بموجِبِ عنايتهِ الإلهيَّةِ في مصرَ، ولكي يُنقِذَ هذه العائلةَ المُختارةَ من الموتِ جوعاً، التي منها سوفَ يأتي المَسِيحُ إلى هذا العالمِ. وبإمكانِ اللهُ أن يستخدِمَ تجاؤبَكَ معَ عداوةِ عائلتك، لكي يُشكِّلَ من خلالِ ذلكِ حياتك. ويوماً ما، سوفَ ترى كيفَ تنظَّمَت ظُروفُ حياتك بواسطةِ العنايةِ الإلهيَّةِ، لكي تُحضِرَكَ لتلعبَ الدورَ الذي أرادَهُ لك اللهُ.

الفصل الثاني عشر

ينتهي التكوين، ويبدأ الخروج

خلال دراستنا للكتاب المقدس، ولا سيما للعهد القديم، نريد أن نتأمل بتطور هذا الشعب الخاص ليصبح أمة. في سفر التكوين، نقرأ أن هذا الشعب وُلد من ذرية إبراهيم. وأعطاهم يعقوب إسمهم، إسرائيل، وأنقذهم يوسف من الموت جوعاً. عند نهاية سفر التكوين، نجد أن هذه الأمة لم تكن سوى اثنتي عشرة عائلة هاربة من الجوع إلى مصر.

وعند بداية سفر الخروج، هذه المجموعة من الناس التي لم تكن قد أصبحت أمة بعد، تكاثرت من اثنتي عشرة عشيرة إلى جمهور كبير من الناس. وقبل أن يتمكنوا من أن يصبحوا أمة، إحتاجوا إلى قائد. سفر الخروج سوف يُخبرنا عن واحدٍ من أعظم القادة عبر تاريخ شعب الله، ألا وهو موسى.

إحدى أكبر المشاكل التي عانى منها موسى في قيادة هذا الجمهور الكبير من الشعب المستعبد، هي أنه لم يكن عندهم قانون أو ناموس. لم تكن توجد قواعد. ولم يكن لديه نظام يستطيع على أساسه أن يحكم هذا الشعب. ففي هذا الكتاب نرى أول مجموعة من القواعد تُعطى للإنسان من الله، إذ تتلخص مبادئ الوصايا في الوصايا العشر.

ولقد واجه موسى مشكلةً أخرى: كان لديه الشعب الصحيح، ولكن في المكان الخطأ. لقد كانوا في مصر، في العبودية، وأرادهم الله أن يصبحوا أحراراً. تعني كلمة خروج بالحقيقة: "المخرج" أو "المنفذ". ومعظم هذا السفر يتكلم عن شعب إسرائيل وكيف وجدوا طريقهم للخروج من العبودية.

إن سفر الخروج، بالإضافة إلى كونه تاريخاً، هو أيضاً مجازاً. فلقد كان الإسرائيليون يرمزون حرفياً تحت نير العبودية؛ وبدون المسيح، نحن نرزع مجازياً تحت نير الخطية. يُعالج سفر التكوين مشكلة إخراج الإسرائيليين من عبوديتهم الجسدية؛ ويُعالج الكتاب المقدس بكامله مشكلة تحرير العالم من عبوديتهم الروحية للخطية.

فهل تحررت من عبودية الخطية، التي وفرها لك الله؟ في الفصل التالي، سوف نتابع دراستنا لسفر الخروج. إبدأ بقراءته الآن، طارحاً على نفسك هذه الأسئلة الثلاث الهامة: "ماذا يقول النص؟ وماذا يعني؟ وكيف يُمكنني أن أطبقه على حياتي الشخصية؟"

الفصل الرابع عشر

صناعة شخصية هامة من المزدري

لكي تفهم سفر الخروج، تحتاج أن تفهم الشعب، المشكلة، والنبى. إن سفر الخروج هو قصة شعب الله، وكيف هربوا من العبودية تحت قيادة موسى.

ثلاث رسائل أساسية

كما رأينا مسبقاً، تعني كلمة خروج، "المنفذ". إن رسالة سفر الخروج هي بالحقيقة التالية: ما هو المنفذ أمام بني إسرائيل للخروج من العبودية؟ لقد كانت هذه العبودية أولاً عبودية بالمعنى الحرفي للكلمة، وقصة تحريرهم من هذه العبودية هي إحدى أعظم معجزات الكتاب المقدس. إنها قصة حقيقية. إنها تاريخ. فرسالة سفر الخروج الأساسية تتكلم عن كيفية حدوث هذا التحرير، وماذا تضمن من وقائع. هذا هو التركيز الأول لسفر الخروج.

بالإضافة إلى كون السفر تاريخياً، ولكن من الناحية التطبيقية يحمل سفر الخروج حقيقة مجازية جميلة يمكننا أن نطبقها على حياتنا التعبودية. التطبيق هو التالي: نحن أيضاً عبيد. ونحن لا نعمل ما نريد أن نعمل؛ بل نعمل ما يفرض علينا عمله. وإن كنا نعمل ما يتوجب علينا عمله وليس ما نرغب بعمله، فنحن إذاً لسنا أحراراً. وإن لم نكن أحراراً، نكون عبيداً، ونكون بأمس الحاجة إلى حل لمشكلة عبوديتنا. نحتاج أن نتحرر من عبودية الخطية. إن كلمة "خلاص"، المألوفة عندنا جميعاً، تعني تماماً ما تعنيه كلمة تحرير، ولا سيما في العهد القديم. فالخلاص يعني التحرير من الخطية. ليس فقط من عقاب الخطية، حاضراً ومستقبلاً، بل وأيضاً من سلطتها.

ينبغي أن نركز دراستنا لسفر الخروج أيضاً على دراسة شخصية موسى النبي. عندما تتأمل برجال الله في الكتاب المقدس، تجد أن هذا الرجل موسى يتقدمهم جميعاً. وأنا أعتقد بدون تحفظ ولا تردد أن موسى هو أعظم رجال الله قاطبة في الكتاب المقدس. وبإمكانك أن تفكر عظمة هذا الإنسان موسى، إذا فكرت بمساهمته في عمل الله. لقد كان إبراهيم أباً لشعب الله، وكما قلنا سابقاً، أعطاهم يعقوب اسماً، ويوسف أنقذهم. ولكن فكر بما فعل موسى لشعب الله! إن سفر الخروج هو السجل الكتابي لما ساهم به موسى لعمل الله.

مُساهمةُ موسى في عملِ الله

قبلَ كُلِّ شَيْءٍ، أعطى موسى الحُرِّيَّةَ لهذا الشعبِ المُستعبدِ. مُعظَمُنا لا يَعْرِفُ ماذا يعني أن تَكُونَ عبداً. عندما يَكُونُ النَّاسُ في السِّجْنِ، الأمرُ الوَحِيدُ الذي يُسَيِّطِرُ على عَقُولِهِمْ وَيَتَمَلَّكُهُمْ هُوَ رَغْبَتُهُمْ بأن يُصْبِحُوا أحراراً. ولقد أعطى موسى هؤلاء العبيد ما كانوا يَرغَبُونَ بهِ أَكثَرَ من أيِّ شَيْءٍ آخَرَ، عندما منحَهُم الحُرِّيَّةَ. ثُمَّ أعطاهم موسى ما يحتاجُهُ الشعبُ المُحرَّرُ أَكثَرَ من أيِّ شَيْءٍ آخَرَ في العالمِ، ألا وهو الحُكُومَةُ أو النَّامُوسُ.

في المجالِ الرُّوحيِّ، أعطى موسى لِشعبِ اللهِ أمرينِ لا يُقدَّرانِ بِثَمَنٍ: أعطاهم كَلِمَةَ اللهِ، وأعطاهم العِبادةَ.

عندما يقرأ النَّاسُ الكتابَ المُقدَّسَ، يَتَمَتَّعونَ بهِ عندما يقرأونَ سفرَ التَّكوينِ، خاصَّةً دراسةَ الشَّخصِيَّاتِ المَوْجُودَةِ فيه. ثُمَّ تأتي دراما الخُرُوجِ، أي التَّحريرِ من مِصرَ. إلى هذا الحدِّ يَتَمَتَّعُ القارئُ كَثِيراً بِقِراءةِ الكتابِ. ولكن عندما يَصِلُ إلى التَّالثِ الأخيرِ من سفرِ الخُرُوجِ، وإلى سفرِ اللاويِّينَ، يُبْطِئُ سرْعَتَهُ في القِراءةِ، وتُصْبِحُ القِراءةُ أَكثَرَ صُعُوبَةً عليه، وعندها يَتَوَقَّفُ الكَثِيرُونَ عن قِراءةِ الكتابِ المُقدَّسِ. فَعِنْدَها يَبْدُو الكتابُ المُقدَّسُ وكأنَّهُ رَسْمٌ هِنْدَسِيٌّ أو دَلِيلٌ مُفصَّلٌ. وهو يُصْبِحُ عندها بالحِقيقةِ كذلك. وعندما تَفْهَمُونَ القِصْدَ من هذا الدَّلِيلِ، تَبْدَأُونَ بالإسْتِمتاعِ بهِ إذ يُصْبِحُ أَكثَرَ تَشويقاً. هذا الجزءُ من سفرِ الخُرُوجِ، وسفرِ اللاويِّينَ بِكامِلِهِ، يُشكِّلانِ دَلِيلاً للعِبادةِ.

إذا تُركنا على هَوانِنا، لن نَعْرِفَ كيفَ نَعْبُدُ اللهَ. وتَماماً كما طَلَبَ التَّلاميذُ من يسوعَ أن يُعَلِّمَهُمَ كيفَ يُصَلُّونَ، إحتاجَ الإسرائيِلِيُّونَ أن يتعلَّمُوا كيفَ يَعْبُدُونَ – وهكذا نحنُ أيضاً. في الكنائسِ التي تُسَمِّيها "طَقْسِيَّةً"، يُديرُ الكاهنُ ظَهْرَهُ للشَّعبِ ووجهَهُ للهَيْكَلِ مُعظَمَ وقتِ العِبادةِ. هذه الكنائسُ المِسيحيَّةُ والمجامعُ اليَهُوديَّةُ تَجِدُ جُذورَها في شَكْلِ العِبادةِ في خِيَمَةِ الإِجْتِماعِ التي عَلَّمَ اللهُ موسى كيفيَّةَ بِنائها.

أودُّ أن أُنظِرَ إلى حَيَاةِ موسى بالطريقةِ التَّالِيَةِ. المُشكِلةُ الكُبرى في سفرِ الخُرُوجِ هي مُشكِلةُ العِبُوديَّةِ. والحَلُّ هُوَ التَّحريرِ. لقد دَعَا اللهُ موسى ليَكُونَ المُحرَّرَ الذي إحتاجُهُ بنو إسرائيلَ في ذلكَ الزَّمانِ. تطبيقياً، تَماماً كما كانَ سفرُ الخُرُوجِ إيضاحاً عَنِ التَّحريرِ، أو الخَلاصِ، سَتَكُونُ حَيَاةُ موسى إيضاحاً عَنِ المُحرَّرِ.

قِصَّةُ مُوسَى

أَنْ تَتَحَرَّرَ أَنْتَ شَخْصِيًّا مِنْ سُلْطَةِ الْخَطِيئَةِ هُوَ أَعْظَمُ إِبْتِخَارٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَجْتَازَهُ فِي حَيَاتِكَ. الإِبْتِخَارُ الْعَظِيمُ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ هُوَ أَنْ تُصَبِّحَ أَدَاءً يَتِمُّ مِنْ خِلَالِهَا تَحْرِيرُ الْآخَرِينَ.

تَأْمَلُوا بِحَيَاةِ مُوسَى الَّتِي تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَرَاكِلَ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تَمْتَدُّ أَرْبَعِينَ عَامًا. الدَّرْسُ الْأَسَاسِيُّ الَّذِي تَعَلَّمَهُ مُوسَى فِي الْأَرْبَعِينَ سَنَةَ الْأُولَى هُوَ: "يَا مُوسَى، أَنْتَ لَا شَيْءَ."

وَمِنْ خِلَالِ ظُرُوفٍ غَيْرِ إِعْتِيَادِيَّةٍ، تَرَبَّى مُوسَى فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ. (أَنْظُرْ خُرُوجَ ١ - ٢: ١٠). لَرُبَّمَا لِهَذَا السَّبَبِ كَانَ مُوسَى يَظُنُّ أَنَّهُ شَخْصٌ ذُو أَهْمِيَّةٍ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا أَصْبَحَ تَقْرِيْبًا فِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ، يَبْدُو أَنَّ اللَّهَ نَجَحَ فِي إِقْنَاعِهِ بِأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا أَهْمِيَّةٍ تُذَكَّرُ. (خُرُوجَ ٢: ١١ - ١٥).

الدَّرْسُ الثَّانِي الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ لِمُوسَى تَحَقَّقَ فِي الْأَرْبَعِينَ سَنَةَ الثَّانِيَّةِ مِنْ حَيَاتِهِ. هَذِهِ الْمَرَّةَ، كَانَتْ رِسَالَةُ اللَّهِ، "يَا مُوسَى، أَنْتَ شَخْصٌ ذُو أَهْمِيَّةٍ، لِأَنِّي أَنَا إِخْتَرْتُكَ وَأَنَا مَعَكَ." فِي نِهَائِيَّةِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةَ الْأُولَى، خَرَجَ مُوسَى ذَاتَ يَوْمٍ لِيَتَفَقَّدَ آلَامَ الْعَبِيدِ الْعِبْرَانِيِّينَ، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ عِنْدَهَا أَنَّهُ هُوَ بِدَوْرِهِ عَبْدٌ عِبْرَانِيٌّ. نَقَرْنَا فِي خُرُوجِ ٢: ١١، "وَحَدَّثَتْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَنْقَالِهِمْ. فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ." الْفِكْرَةُ الَّتِي يُوجِي بِهَا النَّصُّ هِيَ أَنَّ مُوسَى حَنَّ عَلَى شَعْبِهِ، وَأَنَّهُ شَعَرَ بِعَطْفٍ عَمِيقٍ تَجَاهَ كُلِّ مَا كَانُوا يُعَانُونَ مِنْهُ مِنْ آلَامِ.

فِي تِلْكَ الْمَرِحَلَةِ، كَانَ اللَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى مَا مَعْنَاهُ، "لَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي بِهَا أُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مُحَرَّرًا يَا مُوسَى. أُرِيدُ أَنْ أُرْسِلَكَ إِلَى مَدْرَسَةِ اللَّاهُوتِ لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، لِتَفَكَّرَ كَيْفَ تُحَرِّرُ هَذَا الشَّعْبَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ. بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، كَانَ مُوسَى خَارِجًا فِي الْبَرِّيَّةِ، فَرَأَى غُلَيْقَةً مُتَوَقِّدَةً بِالنَّارِ. بِسَبَبِ الْحَرَارَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فِي الصَّحْرَاءِ، لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ غَرِيبَةً هُنَاكَ. وَعَادَةً مَا تَشْتَعِلُ هَكَذَا غُلَيْقَةٌ نِهَائِيًّا فِي غُضُونِ ثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ. وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ، الْغُلَيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ وَلَمْ تَتَحَوَّلْ إِلَى رِمَادٍ، بَلْ كَانَتْ مُتَوَقِّدَةً فَقَطْ بِالنَّارِ. فَاقْتَرَبَ مِنْهَا مُوسَى لِيَكْتَشِفَ مَاذَا يَجْرِي (خُرُوجَ ٣: ١ - ٣). لِأَجْزُوا مَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ هَذَا. "فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْغُلَيْقَةِ وَقَالَ مُوسَى مُوسَى. فَقَالَ هَآنَذَا. فَقَالَ لَا تَقْتَرَبْ إِلَيَّ هَهُنَا. إِخْلَعْ جِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ. لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفُ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ. ثُمَّ قَالَ أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. فَعَطَى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ." (خُرُوجَ ٣: ٤ - ٦).

في هذا المقطع، تابع الله بالقول لموسى أن المهم هو ليس أن موسى رأى مشكلة العبودية الرديئة التي كان شعب الله يعاني منها. وليس المهم عطف موسى أو رغبته بأن يعمل شيئاً حياً تلك العبودية. لقد أخبر الله موسى أمام تلك العليقة المتوقدة بالنار أن ما يهم بالحقيقة هو أن إله موسى هو الذي رأى مشكلة العبودية، وقد جاء الآن ليعمل شيئاً حياً لها. لهذا، أخبر الله موسى أنه سيرسله إلى فرعون ليطلب حريّة شعب إسرائيل القديم.

هل بإمكانك أن تتخيل الصدمة التي سببها هذا اللقاء لموسى؟ فعندما فشل موسى في تحرير هذا الشعب عندما قتل الرجل المصري، أظهر الله له بذلك أن موسى هو لا أحد ذو أهمية. أما أمام العليقة المتوقدة بالنار، فكان الله يفتح موسى أنه أصبح شخصاً ذا أهمية. هذان الدرسان الأساسيان: أن موسى هو لا أحد ذو أهمية، وأنه أصبح شخصاً ذا أهمية عندما صار الله معه، هذان الدرسان عززا مفهوم الوداعة والتواضع عند موسى. لقد علم الله موسى هذين الدرسين، لكي يجعل من موسى الوسيلة البشرية لتحرير شعبه من مصر.

معظم الناس الذين هم في موقع سلطة، يبذلون كل جهد لكي يختاروا الأشخاص المؤهلين أكثر من غيرهم ليفوموا بأعمال مهمة. في الكتاب المقدس، يبدو تقريباً وكأن الله يحاول أن يختار الأشخاص الأقل أهلية. فإن كان الله سيستخدمنا لنحرر الناس اليوم، وإذا كنا نحب أن نرى صديقاً أو شخصاً محبوباً، أن نراه يتحرر من قيود الخطية، نحتاج أن نتذكر التالي: لسنا نحن المنقذين والمحررين، بل الله هو المنقذ والمحرر.

درس نتعلمه

الشخص المتواضع يفهم من هو الذي يعمل العمل بالحقيقة. يقول الشخص المتواضع: "إنها خطة الله بأن نستخدم سلطة الله في حياة شعب الله لإتمام مقاصد الله بحسب خطته."

في سفر الخروج، يشبه الله كرمه، وهو يبحث عن أغصان لتكون جزءاً من الكرم. الله لن يعمل من دون أدوات. لذلك يبحث الله لنفسه عن موسى. ولكن سرعان ما يجد موسى ويدعوه، حتى يتوجب عليه أن يقنع، وأن يقول له، "يا موسى، أنت لا أحد ذو أهمية. لست أنت الشخص الذي سيعمل العمل. عندما تفهم هذا يا موسى، عندها تصبح الشخص الذي أستطيع أن أستخدمه، وتصبح الشخص الذي من خلاله بإمكانني أن أعمل عملي، وسيكون بوسعك أن تكتشف المعجزة العظيمة لما سأستطيع القيام به من خلال شخص تعلم أنه لا أحد."

الفصل الرابع عشر

إِعْتِرَاضَاتٌ بَشَرِيَّةٌ وَأَسْرَارٌ رُوحِيَّةٌ

لقد رأينا كيف أَعَدَّ اللهُ مُوسَى لِخِدْمَةِ إِنْقَاذِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَحْرِيرِهِمْ. فِي هَذَا الْفَصْلِ، سَوْفَ نَنْظُرُ إِلَى الْأَسْرَارِ الَّتِي شَارَكَهَا اللهُ مَعَ مُوسَى، وَالَّتِي سَتَجْعَلُ مِنْهُ وَسِيلَةَ التَّحْرِيرِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَسَوْفَ نَرَى كَيْفَ تَجَاوَبَ مُوسَى مَعَ دَعْوَةِ اللهِ لَهُ لِيَكُونَ مُنْقِذًا وَمُحَرِّرًا.

إِنَّ أَسْرَارَ اللهِ لِصَيْرُورَةِ الْإِنْسَانِ أَدَاةً لِلتَّحْرِيرِ وَالْإِنْقَاذِ، يُمَكِّنُ أَنْ تُلَخَّصَ بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ: "لَسْتَ أَنْتَ الْمُنْقِذُ، بَلْ أَنَا هُوَ الْمُنْقِذُ. أَنْتَ بِنَفْسِكَ لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تُنْقِذَ أَحَدًا. وَلَكِنِّي أَنَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنْقِذَ، وَأَنَا مَعَكَ يَا مُوسَى. أَنْتَ لَا تُرِيدُ حَتَّى أَنْ تُنْقِذَ هَذَا الشَّعْبَ، وَلَكِنِّي أَنَا أُرِيدُ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْرَارُ حَقِيقَةً بِالنِّسْبَةِ لِمُوسَى، وَهِيَ حَقِيقَةٌ بِالنِّسْبَةِ لَنَا كَذَلِكَ. لَقَدْ عَلَّمَ اللهُ مُوسَى هَذِهِ الدُّرُوسَ أَمَامَ الْعَلِيقَةِ الْمُتَوَقِّدَةِ.

كَانَ مُوسَى مُرْتَبِكًا مِنْ نَاحِيَةِ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى النُّطْقِ بِطَلَاقَةٍ. قَدْ يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ كَانَ يَلْدَغُ أَوْ يُسِيءُ لَفْظًا بَعْضَ الْأَصْوَاتِ. وَلَكِنْ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ، كَانَ اللهُ يَعْرِفُ تَمَامًا عَنْ مُشْكَلَةِ مُوسَى فِي النُّطْقِ عِنْدَمَا دَعَاهُ، وَرَغْمَ ذَلِكَ أَرَادَهُ أَنْ يذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ لِيَطْلُبَ تَحْرِيرَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الْقَدِيمِ. بِالْحَقِيقَةِ، لَرُبَّمَا أَرَادَهُ اللهُ أَنْ يَقُومَ بِهَذَا الْعَمَلِ بِسَبَبِ ضَعْفِهِ فِي النُّطْقِ. لَقَدْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَكُونَ وَاضِحًا أَنَّ هَذَا الْإِنْقَاذَ، عِنْدَمَا حَدَثَ، كَانَ نَتِيجَةً لِقُوَّةِ اللهِ وَلَيْسَ لِمَوْهَبَةِ الْإِنْسَانِ. لِهَذَا أَرَادَ اللهُ رَاعِي غَنَمِ عِبْرَانِيٍّ (الَّذِي كَانَ الْمِصْرِيُّونَ يَكُونُونَ لَهُ كُرْهًا أَكْثَرَ مِنْ كُرْهِهِمْ لِلْعِبْرَانِيِّ الْعَادِيٍّ)، وَلَرُبَّمَا رَجُلًا كَانَ يَلْدَغُ بِلَفْظٍ ثَقِيلٍ، أَرَادَهُ اللهُ أَنْ يذْهَبَ إِلَى حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ لِيَطْلُبَ إِنْقَاذَ شَعْبِهِ وَتَحْرِيرَهُ. وَعِنْدَمَا أُنْقِذَ شَعْبُ اللهِ، لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَقُولَ أَحَدًا، "مُوسَى هُوَ الَّذِي أُنْقَذْنَا. لَقَدْ كَانَ فَصِيحًا جَدًّا. لَقَدْ كُنْتُ حَاضِرًا عِنْدَمَا طَلَبَ إِطْلَاقَ سِرَاحِ شَعْبِ اللهِ. وَلَقَدْ طَلَبَ ذَلِكَ بِفَصَاحَةٍ وَبِلَاغَةٍ وَدِينَامِيكِيَّةٍ!" لَيْسَ هَذَا مَا أَرَادَهُ اللهُ أَنْ يُقَالَ عَنْ تَحْرِيرِ الشَّعْبِ. لِهَذَا إِخْتَارَ الرَّجُلَ الَّذِي إِخْتَارَهُ. تَأَمَّلُوا بِالْكَوْنِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي الْعَدَدِ ١١: "مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسًا أَوْ أَصَمًّا أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى. أَمَّا أَنَا هُوَ الرَّبُّ."

هَذِهِ أَسْئَلَةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْبَعْضِ. أَعْتَقِدُ أَنَّ مَا كَانَ اللهُ يَقُولُهُ مُجَدِّدًا، كَانَ الدَّرْسَ نَفْسَهُ الَّذِي رَأَيْنَاهُ فِي حَيَاةِ يُوسُفَ: فِدْوَانُ حَيَاتِكَ الدِينَامِيكِيَّةِ مُحَطَّطٌ لَهَا مِنْ قِبَلِ اللهِ. قَدْ لَا تَعْرِفُ بِنَاتٍ لِمَاذَا، وَلَكِنَّ اللهُ خَلَقَنَا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي خَلَقْنَا بِهَا. وَكَانَ اللهُ يَقُولُ لِمُوسَى آنَذَاكَ، "لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ أُرِيدُ رَجُلًا فَصِيحًا، لَأَعْطَيْتُكَ فَصَاحَةً."

في تلك المرحلة، أعطاه الله درساً إيضاحياً صغيراً. سأله الله، "ما هذا الذي في يدك؟" فأجاب موسى، "عصا الراعي." فقال له الله، "إطرحها أرضاً." فعندما طرحتها موسى أرضاً، أصبحت شيئاً استخدمه الله بقوة في خدمة موسى. تعني كلمة "تكريس" أن تضع شيئاً ما أرضاً. ثم قال له الله أن يضع يده في عبه وأن يخرجها بعد ذلك. فعندما أخرج موسى يده، أصبحت برصاء. ثم قال له الله أن يدخلها ويخرجها مجدداً، فشفيته. (خروج ٤: ٢-٧).

لقد كان الله في غاية الصبر وطول الأناة رغم اعتراضات موسى جميعها. ولكن عندما قال موسى لله في النهاية، "أرسل شخصاً آخر غيري"، (تكوين ٤: ١٣)، جعل غضب الله يتورض ضده. أتساءل هنا عندما يرسلك الله لتكون منقذاً، هل تقدم هذه الاعتراضات نفسها؟ وهل ينتهي بك الأمر بالقول، "أرسل شخصاً آخر غيري؟" أشخاص كثيرون قالوا لله بصدق في الكتاب المقدس، "يا الله، لا أريد أن أذهب في هذه المهمة." هذا ما كان يقوله موسى. بمعنى ما، هذا صحيح لأن دوافع الشخص الذي يرغب عادةً بالقيام بالمهمة، غالباً ما تكون مشكوكاً بأمرها.

بالطبع، موسى انتهى به الأمر أن يذهب لإتمام المهمة. ولقد نجح في ذلك تماماً. ولكن النجاح لم يكن مرده لموسى، بل لله.

بعض الناس لديهم الكثير من الأهلية والقليل من التوفر. آخرون هم قليلو الأهلية وكثيرون التوفر. تخبرنا كلمة الله أنه ليس المهم ما إذا كنت كثير أو قليل الأهلية أو المؤهلات. الأمر المهم هو أن تجعل نفسك متوقفاً بين يدي الله. في عمل الله، أعظم أهلية هي التوفر. فهو لا يستخدمنا بسبب ما ومن نحن عليه، ولا بسبب ما نريده، بل رغم من وما نحن عليه ورغم ما نريده.

الحقائق الأكثر أهمية التي علمها الله لموسى يمكن تلخيصها بالتالي:

أنا لست المهم، لكنه هو المهم، وهو معي.

أنا لا أستطيع، لكنه هو يستطيع، وهو معي.

أنا لا أريد، لكنه هو يريد، وهو معي.

أنا لم أفعل ذلك، لكنه هو فعله، لأنه كان معي.

أسمى هذه التصريحات الأربعة "الأسرار الروحية الأربعة."

لم أستطع أن أعملَ ككائِنٍ بَشْرِيٍّ أو كخادِمٍ للإنجيلِ بِدُونِ أن أُطَبِّقَ هذه الأسرارَ الرُّوحِيَّةَ الأربَعَةَ على حياتِي وخدمَتِي. أنا أثِقُ أَنَّكَ سَتَتَعَلَّمُ أَنَّتِ أَيْضاً كَيْفَ تُطَبِّقُ هذه الأسرارَ الرُّوحِيَّةَ الأربَعَةَ التي تَعَلَّمَهَا مُوسَى أَمَامَ عَلِيَّةٍ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ.

الفصل السادس عشر

الضربات، المعجزات، ومبادئ الإنقاذ

سَوْفَ نُرَكِّزُ الآنَ على قِصَّةِ الإنقاذِ والتَّحريرِ التي نَجِدُهَا في سفرِ الخُرُوجِ. وكما أشرنا سابقاً، كَلِمَةُ إنقاذٍ أو تحريرٍ هي مُرَادِفٌ لِكَلِمَةِ خلاصٍ. فعندما ننظرُ في سفرِ الخُرُوجِ إلى مَوْضُوعِ الإنقاذِ، وإلى الخلاصِ الذي إختَبَرَهُ شعبُ الله آنذاك، نرى قُوَّةَ الله. هذا لأنَّهُ لا يُوجَدُ ما يُسَمَّى خلاصاً، لا ماضياً ولا حاضراً، بِدُونِ قُوَّةِ الله. في سفرِ الخُرُوجِ، سوفَ تَرَوْنَ قُوَّةَ الله مُستَعلَنَةً بِطَرِيقَةٍ فَرِيدَةٍ، بدءاً مع الضرباتِ العَشْرِ.

الضربات

إنَّ رِسَالَةَ الضَّرَبَاتِ العَشْرِ هي صُورَةٌ عن حَقِيقَةٍ شَامِلَةٍ يُعَلِّمُهَا الكِتَابُ المُقَدَّسُ من سفرِ التَّكْوِينِ إلى سفرِ الرُّؤْيَا. يُعَبَّرُ عن هذه الحَقِيقَةِ في إنجيلِ يُوَحْنَا ٤ : ٤ كالتَّالِي: "لأنَّ الذي فيكُم أعظَمُ من الذي في العالم." هذا هُوَ التَّطْبِيقُ التَّعْبُدِيُّ لِرِسَالَةِ الضَّرَبَاتِ العَشْرِ.

في خُرُوجِ ٥ : ١، قَدَّمَ مُوسَى وَهَارُونَ طَلَبَهُمُ الأوَّلَ أَمَامَ فرعونَ بِإِطْلَاقِ سِراحِ شعبِ إِسْرَائِيلَ القَدِيمِ. وَلَكِنْ فرعونَ إكْتَفَى بِأَن يَسْحَرَ بِهِمَا. لَقَدْ كَانَ هذا الطَّلَبُ مُضْحِكاً بِالنِّسْبَةِ لِفِرْعَوْنَ. فَأَيُّ دَافِعٍ كَانَ يُمَكِّنُ أَن يَجْعَلَهُ يُطَلِّقُ سِراحَ الشَّعْبِ؟ السَّبَبُ الذي أُعْطِيَاهُ لَمْ يَعرِفْ بِصِرَاحَةٍ أَيِّ شَيْءٍ لِفِرْعَوْنَ: "إِلَهُ العِبْرَانِيِّينَ إِنْتَقَانَا؛ لِهَذَا، دَعْنَا نَذْهَبُ، لأنَّ هذا ما قَالَ لَنَا اللهُ أَن نَقُولَهُ لَكَ." (١)

في هذه القِصَّةِ، نرى أيضاً ما يُمكنُ تَسْمِيَتُهُ "مبادئ الإنقاذ" من سُلْطَةِ الحَظِيَّةِ أو الشَّرِّ. فكما طَلَبَ مُوسَى إنقاذَ شعبِ الله، ورفضَ فرعونَ أن يُطَلِّقَ سِراحَهُمْ، إبتدأتِ الضَّرَبَاتُ تَحُلُّ بِفرعونَ وَبِشَعْبِهِ وَلَمْ تَكْفِ. بِالنَّهَائِيَّةِ، كَانَتْ هذه الضَّرَبَاتُ مُقْتَبَعَةً جَدًّا. وَهَكَذَا إبتدأَ فرعونَ يَخْضَعُ تَدْرِيجِيًّا لِسُلْطَةِ اللهِ. وَلَكِنْ بَيْنَمَا كَانَ يَعْمَلُ هذا، لَاحِظُوا الحِوَارَ بَيْنَ مُوسَى وَفرعونَ. يَعتَقِدُ الكَثِيرُونَ أَنَّ مُوسَى هُوَ صُورَةٌ عن مُنْقِذِنَا، يَسُوعَ المَسيحِ، وَأَنَّ فرعونَ هُوَ صُورَةٌ عن الشَّيْطَانِ، الذي يُجَسِّدُ الشَّرَّ. إِذَا فَهَمْنَا التَّجَادُّبَاتِ التي كَانَتْ تَحْدُثُ بَيْنَ مُوسَى وَفرعونَ، بِإِمْكَانِنَا أَن نَفْهَمَ التَّجَادُّبَاتِ التي تَحْدُثُ بَيْنَ المَسيحِ وَالشَّيْطَانِ اليَوْمَ، خِلالَ عَمَلِيَّةِ إنقاذِنَا أو خِلالِ خِلاصِنَا.

مثلاً، لاحظوا ما يقوله فرعون في خروج ٨: ٢٥ بعد أن طلب موسى منه أن يسمَح لبني إسرائيل بأن يخرجوا ليقدِّموا ذبيحة للربِّ إلههم. "بإمكانكم أن تذبِّحوا للربِّ إلهكم في مصر فقط. إياكم أن تتركوا مصر."

بعد بضع ضرباتٍ، وافق فرعون مُجدِّداً أن يدع الشعب يذهب ليقدِّموا ذبائحهم، ولكنه أصرَّ على أن يُقدِّموا تنازلاً: "أنا أطلقكم لتذبِّحوا للربِّ إلهكم في البرية. ولكن لا تذهبوا بعيداً." (تكوين ٨: ٢٨). هذه أيضاً صورة عن الطريقة التي تأتي بها الضغوطات على المؤمن الجديد. "حسناً، إذا أردت أن تكون مؤمناً بالمسيح، بإمكانك أن تعمل ذلك، ولكن أرجو أن لا تُصيح واحداً من هؤلاء المؤمنين المتعصِّبين. أقصِد، أرجو أن لا تذهب بعيداً في طريقك في حياة الإيمان، وأرجو أن لا تأخذ الإيمان على محمل الجدِّ كثيراً."

في خروج ١٠: ٨-١٠، وبعد المزيد من الضربات، تنازل فرعون بالمزيد. "حسناً، بإمكانكم أن تذهبوا، ولكن لا يُمكنكم أن تأخذوا أولادكم. أتركوا أولادكم في مصر." عندما يجد الشيطان أنه لا يستطيع أن يجعلنا نساوم على إيماننا، سيحاول أن يحصل على أولادنا. يُدهشنا أن نرى كم من الناس أقبَلوا إلى الإيمان "وتركوا أولادهم وراءهم في مصر."

وبعد المزيد من الضربات، قال فرعون، "بإمكانكم أن تذهبوا، ولكن أتركوا قُطعانكم وغممكم وبقركم وراءكم." (خروج ١٠: ٢٤). يُشبه هذا قيام الشيطان بالهمس في آذاننا أنه يُمكننا أن نُؤمن بالمسيح، ولكن يُمكننا أن نترك ما لنا بعيداً عن سُلطة المسيح.

اعتقد أن هذه هي ستراتيجية الشيطان، التي ترونها مُجسدة هنا في شخص فرعون. فمبدأ الإنقاذ الأول هو: إياكم ثم إياكم أن تُقدِّموا أي تنازلاً للشيطان. ولا تدعو الشرير يجربكم بالبقاء في مصر (أي في العالم)، وأن تكونوا حاملين في إيمانكم، تاركين أولادكم وراءكم في مصر، أو تاركين ثروتكم في مصر.

المُعجزات

ولكن إن كنتم متورطين أصلاً في الخطية، فما هو الطريق للخروج منها؟ يُخبرنا سفر الخروج بأننا لكي نستطيع التحرر من قيود وطغيان الخطية، نحتاج إلى معجزة. نرى صورة عن نوع المعجزات التي نحتاج أن نراها مُصورة في الفصح، وفي عبور البحر الأحمر. هذه المعجزات تُمَثِّل إنقاذ بني إسرائيل النهائي من فرعون.

الضربة الأخيرة كانت غضب الله الذي أدى إلى موت كلِّ بكرٍ في مصر. وبينما كان شعب الله المختار يلاحظون حدث العبور أو الفصح، عبر عنهم غضب الله ولم يُصِبهم بشيء.

يُظهِرُ يَسُوعُ العِلاَقَةَ بَيْنَ هَذَا العُبُورِ، أَو الفِصْحِ، وَبَيْنَ خِلاصِنَا، عِنْدَمَا يَقُولُ لِرُسُلِهِ أَنَّ مَوْتَهُ عَلَى الصَّلِيبِ كَانَ تَحْقِيقًا لِكُلِّ مَا كَانَ مُصَوَّرًا فِي الفِصْحِ أَو العُبُورِ (لوقا ٢٢: ١٦).

خِلالَ الحِوَارِ بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ، تَعَلَّمُونَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمْ يَكُنْ يَرِغِبُ بِأَنْ يَدَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَرْحَلُونَ. وَهَكَذَا إِسْتَمَرَ فِرْعَوْنَ بِتَغْيِيرِ رَأْيِهِ. فَكَانَ يَقُولُ، "يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَذَهَبُوا"، وَلَكِنْ عِنْدَمَا كَانَتْ تُرْفَعُ عَنْهُ الضَّرْبَةُ، كَانَ يُعَيِّرُ رَأْيَهُ وَيَقُولُ، "لَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَرْحَلُوا." حَتَّى بَعْدَ أَنْ أُطْلِقَ سِرَاحَهُمْ، غَيَّرَ فِرْعَوْنَ رَأْيَهُ مَرَّةً أُخْرَى. وَعِنْدَمَا وَقَفَ شَعْبُ اللَّهِ أَمَامَ البَحْرِ الأَحْمَرِ، جَمَعَ فِرْعَوْنَ جَيْشَهُ، وَبَدَأَ وَكَأَنَّهُ كَانَ مُصَمِّمًا عَلَى ذَبْحِ شَعْبِ اللَّهِ. وَهَكَذَا إِحْتِاجُ شَعْبِ اللَّهِ آنَذَاكَ إِلَى مُعْجَزَةٍ أُخْرَى.

فَقَامَ مُوسَى بِعَمَلِ مَا طَلَبَهُ مِنْهُ اللَّهُ، وَجَمِيعُنَا يَعْرِفُ بِقِيَّةِ القِصَّةِ. وَهَكَذَا إِنْشَقَّتْ مِياهُ البَحْرِ الأَحْمَرِ إِلَى نَدَّيْنِ، وَمَشَى بَنُو إِسْرَائِيلَ بَيْنَ شَقِي المِياهِ عَلَى أَرْضِ يَابِسَةٍ. وَعِنْدَمَا حَاوَلَ المِصْرِيُّونَ اللِّحَاقَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنْهَارَتْ عَلَيْهِمْ جُدْرَانُ المِياهِ وَغَرِقَ جَيْشُ فِرْعَوْنَ. (خروج ١٤: ٢١-٢٨).

عِنْدَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى مُعْجَزَاتِ العَهْدِ القَدِيمِ، عَلَيْكُمْ أَنْ تُفَرِّرُوا مَا إِذَا كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِمَا هُوَ خَارِقٌ لِلطَّبِيعَةِ أَمْ لَا. أَنَا أُوْمِنُ بِهَذِهِ المُعْجَزَةِ تَمَامًا كَمَا هِيَ مَوْصُوفَةٌ حَرْفِيًّا فِي نَصِّ الكِتَابِ المُقَدَّسِ. وَأَنَا أُوْمِنُ أَنَّهَا حَدَثَتْ بِكُلِّ حِذَائِرِهَا. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُمَثِّلُ خِلاصَنَا. يَتَطَلَّبُ خِلاصُنَا مُعْجَزَةً مِنَ اللَّهِ. هَذَا مَا تُصَوِّرُهُ لَنَا مُعْجَزَةُ عُبُورِ البَحْرِ الأَحْمَرِ.

وَسُرْعَانَ مَا عَبَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ البَحْرَ الأَحْمَرَ وَأَصْبَحُوا فِي وَسْطِ البَرِّيَّةِ، حَتَّى وَاجَهُوا مُشْكَلَةً كَبِيرَةً. مَاذَا كَانَ سَيَأْكُلُ هَذَا الشَّعْبُ وَسَيَشْرَبُ فِي وَسْطِ بَرِّيَّةٍ قَاحِلَةٍ؟ لَقَدْ كَانَ عَدَدُ الشَّعْبِ يَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ مِائَتَيْ مِلايِينِ إِلَى ثَلَاثَةِ مِلايِينِ نَسْمَةٍ، وَكَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. لَمْ تَكُنْ لَدَى مُوسَى آيَةٌ فَكْرَةً عَمَّا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهَذَا الخُصُوصِ، أَمَّا اللَّهُ فَكَانَ يَعْلَمُ مَاذَا سَيَفْعَلُ.

وَهَكَذَا جَاءَ اللَّهُ وَوَلَّى إِحْتِياجَاتِ الشَّعْبِ بِمُعْجَزَةٍ أُخْرَى. فَذَاتَ صَبَاحٍ، عِنْدَمَا إِسْتَفَاقَ الشَّعْبُ مِنْ نَوْمِهِ، كَانَتْ تُوَجَدُ طَبَقَةٌ بِيضَاءُ تُغَطِّي المَحَلَّةَ. فَقَالُوا، "مَا هَذَا؟" وَالَّذِي يَعْنِي بِالعِبْرِيَّةِ، "مَنَّا؟" وَمِنذُ ذَلِكَ الحِينِ، أَصْبَحَ المَنْ يَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ لِيُعْطِيَ المَحَلَّةَ.

وَمَنْ الوَاضِحُ أَنَّ هَذَا الغِذاءَ الَّذِي وَفَّرَهُ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ سَدَّ كُلَّ إِحْتِياجَاتِهِمُ الغِذَائِيَّةَ، لِأَنَّهُمْ عَاشُوا عَلَى هَذَا المَنْ لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. هَذَا التَّدْبِيرُ بِالنِّعْمَةِ الإِلَهِيَّةِ يُشِيرُ إِلَى مُعْجَزَةٍ أُخْرَى نَحْتَاجُهَا أَنَا وَأَنْتَ، أَلَا وَهِيَ الدَّعْمُ وَالتَّغْذِيَّةُ الرُّوحِيَّةُ. فَمَنْ هُوَ أَوْ مَا هُوَ مَصْدَرُ دَعْمِكَ وَتَغْذِيَّتِكَ؟ وَهَلْ تَضَعُ ثِقَتَكَ بِاِقْتِصَادِ وَطَنِكَ، أَمْ بِقُدْرَاتِكَ الشَّخْصِيَّةِ عَلَى الحُصُولِ عَلَى إِحْتِياجَاتِكَ؟ إِنَّ المَصْدَرَ الحَقِيقِيَّ لِمَا نَحْتَاجُهُ هُوَ اللَّهُ. فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَيْهِ، يُعْطِينَا مَا نَحْتَاجُهُ

في الوقت المناسب. كان على الشعب أن يجمعوا هذا المن كل يوم، الأمر الذي يرمز إلى تعليم يسوع أننا عندما نصلي، علينا أن نطلب من أبينا السماوي، "أعطينا خبزنا كفافنا اليوم." فقبل كل وجبة طعام نتناولها، عندما نشكر الله على طعامنا، نعترف بذلك أن الله هو مصدر غذائنا ومصدر كل ما نحتاجه. إن توفير الله لبني إسرائيل خلال الأربعين سنة من التيهان في البرية يذكرنا بحقيقة تدبير الله.

إنقاذنا

في سفر الخروج، نكتشف أيضاً أساس خلاصنا وأهم شكل من أشكال عبادتنا. إن السير الكامن في قلب إنقاذ بني إسرائيل أصبح السير الكامن في قلب خلاصنا. فشعب الله أوصي بتقديم حمل وبرش دمه على أعلى وجانبي عتبة باب بيوتهم. وهذه صورة عن صليب المسيح، الذي جعل غضب الله يعبر عنا ويتجاوزنا. فيسوع، حمل الله، قد ضحى به من أجلنا، ودمه هو الذي يخلصنا. كان يسوع المسيح حمل الله المصور في حمل الفصح.

صلاتي هي أنك بينما تقرأ سفر الخروج، أن ترى أن المعجزات التي أنقذت بني إسرائيل هي صورة عن المعجزات نفسها التي تخلصني وتخلصك أنت اليوم.

الفصل السادس عشر

رُوحُ الوَصَايَا العَشْر

أودُّ الآنَ أن أنتقلَ إلى دراسةِ الوَصَايَا العَشْر، كما نراها في خُرُوج ٢٠: ١ - ١٧. هذه الوَصَايَا العَشْر تُلخِّصُ رُوحَ المِائَةِ مِنَ الوَصَايَا التَّفصِيلِيَّةِ الأُخْرَى.

كُتِبَتِ الوَصَايَا العَشْرُ على لُوحَيْنِ. على وَاِجِدِ مِنَ هَذَيْنِ اللُّوحَيْنِ، كانت تُوجَدُ أربَعُ وصَايَا، جَمِيعُهَا تُعْنَى بِعِلاقَتِنَا مَعَ اللّهِ:

١- لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.

٢- لا تَعْبُدِ الأوثان.

٣- لا تَحْلِفْ بِاسْمِي باطِلاً.

٤- اذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.

هذه الوَصَايَا الأربَعُ ترتبُ بِعِلاقَتِنَا مَعَ اللّهِ.

اللُّوحُ الثَّانِي كانَ يَحْمِلُ سِتَّةَ وصَايَا كانت تُعْنَى بِعِلاقَتِنَا مَعَ النَّاسِ.

٥- أَكْرِمِ أبَاكَ وَأُمَّكَ.

٦- لا تَقْتُلْ.

٧- لا تَزِنْ.

٨- لا تَسْرِقْ.

٩- لا تَكْذِبْ.

١٠- لا تَشْتَهَ.

دَعَوْنَا نَنْظُرَ عَنِ كُتُبِ إلى هذه الوَصَايَا العَشْرِ لِئَنرى ما ذا تُعْنَى بِالْفِعْلِ.

تَقُولُ الوَصِيَّةُ الأُولَى، "لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي." قِيلَ أَنَّهُ يُمَكِّنُ تَصْفِيَةَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ إلى كَلِمَتَيْنِ فَقَط: "اللَّهُ أَوَّلًا." هذا هُوَ رُوحُ الوَصِيَّةِ الأُولَى.

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ تَمَنَعُنَا مِنْ صُنْعِ آيَةٍ صُورَةٍ مَنْحُوتَةٍ أَوْ شَبَهٍ لِأَيِّ شَيْءٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَنْ نُسَمِّيَهَا اللَّهَ. حَرْفِيًّا، تَمَنَعُنَا هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنَ الْوَثْنِيَّةِ، أَوْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ. إِنَّ رُوحَ هَذَا النَّامُوسِ، عَلَى آيَةٍ حَالٍ، هُوَ شَيْءٌ كَالثَّالِي: اللَّهُ رُوحٌ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنْهُ بِالْإِيمَانِ. وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ رُوحٌ، فَإِنَّ مَوْضُوعَ إِيْمَانِنَا سَيَكُونُ دَائِمًا غَيْرَ مَنْظُورٍ. هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي نَظَّمْ بِهَا اللَّهُ طَرِيقَةَ إِقْتِرَابِنَا مِنْهُ وَعِلَاقَتِنَا مَعَهُ. إِنَّهُ يُرِيدُنَا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْهِ بِالْإِيمَانِ. فَإِذَا حَاوَلْنَا أَنْ نَصْنَعَ شَيْئًا مَادِيًّا أَوْ مَلْمُوسًا، وَقُلْنَا أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ يُمَثِّلُ اللَّهَ، نُطِيحُ بِذَلِكَ الْحَاجَّةَ إِلَى الْإِيمَانِ.

الْوَصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ كَانَتْ أَنْ لَا نَحْلِفَ بِاسْمِ اللَّهِ بَاطِلًا. رُغْمَ أَنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ هَذَا يُشِيرُ إِلَى الْحِلْفَانِ فَقَطْ، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. إِنَّهُ يَعْنِي الثَّالِي: فِي أَيِّ وَقْتٍ تَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ، حَتَّى فِي الْعِبَادَةِ، عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَذَكَّرُوا مِنْ هُوَ اللَّهُ، وَأَنْ لَا تَسْتَخْدِمُوا اسْمَهُ بَاطِلًا، أَوْ خَارِجَ إِطَارِ الْمَقَاصِدِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا اسْمُ اللَّهِ. فَلَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْتَحْدِمَ اسْمَ اللَّهِ بِاسْتِهْتَارٍ أَوْ بِإِهْمَالٍ أَوْ بَعْدَمِ إِحْتِرَامٍ أَوْ بِإِزْدِرَاءٍ، حَتَّى خِلَالَ عِبَادَتِنَا لَهُ.

الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ تُعَلِّمُنَا أَنْ نَذْكَرَ السَّبَبَ لِنُقَدِّسَهُ. وَكَانَ لِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ حَرْفِيًّا الْكَثِيرُ مِنَ التَّطْبِيقَاتِ فِي مِثَالِ الْوَصَايَا فِي أَسْفَارِ النَّامُوسِ. الْكَثِيرُ مِنَ النَّوَامِيسِ الْيَهُودِيَّةِ إِنْبَنَقَتْ مِنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، وَلَكِنَّ الْمَبْدَأَ مُشَابِهًا لِمَبْدَأِ الْوَصِيَّةِ الْأُولَى: أَنْ تَضَعِ اللَّهَ أَوَّلًا فِي حَيَاتِكَ. خَصِّصْ وَقْتًا لَهُ فَقَطْ. تَطْبِيقُ آخِرَ لِمَبْدَأِ السَّبَبِ هُوَ الرَّاحَةُ الْكَامِلَةُ. تُوجَدُ عِدْوَى مِنَ الْإِنْهِيَارَاتِ الْعَاطِفِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ وَالْإِرْهَاقِ الْكَامِلِ، بِسَبَبِ إِنْتِهَاقِ شَعْبِ اللَّهِ لِرُوحِ الْوَصِيَّةِ الرَّابِعَةِ.

عِنْدَمَا تَصَلُّونَ إِلَى اللُّوحِ الثَّانِي، سَتَجِدُونَ الْوَصَايَا الَّتِي تُعَالِجُ عِلَاقَتَكُمْ مَعَ النَّاسِ فِي حَيَاتِكُمْ. الْوَصِيَّةُ الْأُولَى، تَنْطَبِقُ بِالطَّبَعِ عَلَى الْوَالِدِينَ. فِي الْحَالَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْأُمُورِ، الْوَالِدَانِ هُمَا أَوَّلُ النَّاسِ الَّذِينَ سَتَتَعَاطُونَ مَعَهُمْ. فَالْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ تَأْمُرُنَا بِأَنْ نُكْرِمَ آبَاءَنَا وَأُمَّنَا. وَتُعَبِّرُ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ أَوَّلَ وَصِيَّةٍ بَوَعْدٍ: إِذَا أَكْرَمْتُمْ آبَاءَكُمْ وَأُمَّكُمْ، سَتَطُولُ أَيَّامُكُمْ عَلَى الْأَرْضِ (خُرُوجَ ٢٠: ١٢). وَلَكِنْ لَاحِظُوا أَنَّ الْوَصِيَّةَ هِيَ أَنْ تُكْرِمُوا وَالِدَيْكُمْ. الْوَصِيَّةُ لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تُطِيعُوهُمْ. يُعَلِّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بَانَ يُطِيعَ الْوَالِدَ وَالِدَيْهِمْ. فَعِنْدَمَا تَكُونُونَ أَطْفَالًا، عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ الْوَالِدِينَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ مُوجَّهَةٌ لِلْبَالِغِينَ، وَهِيَ تَأْمُرُنَا بِأَنْ نُكْرِمَ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا. أَحَدُ سَبَابِ أَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، هُوَ أَنَّهَا تُظْهِرُ لِأَوْلَادِكُمْ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُكْرِمُوا آبَاءَهُمْ.

الْوَصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ تَأْمُرُنَا بِأَنْ لَا نَقْتُلَ. لَا تَقُولُ الْوَصِيَّةُ حَصْرِيًّا، "لَا تَقْتُلْ"، لِأَنَّهُ تُوَجَدُ مَقَاطِعَ أُخْرَى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ شَعْبَهُ بِأَنْ يَقْتُلُوا (أَنْظُرُوا تَكْوِينَ ٩، وَرُومِيَّةَ ١٣،

وغيرها من المراجع.) إِنَّ رُوحَ هذه الوصية هُوَ أَنَّ الحياةَ في يَدَيِ الله؛ فالله يُعطي الحياةَ وينبغي أن يكون الخيارُ لله فقط بإنهاء الحياة التي يُعطيها.

الوصية السابعة تأمرنا بأن لا نترفَ خطيةَ الزنى. اعتقد أن رُوحَ هذه الوصية هي ما يُمكن أن نسميه "حقوق الأطفال." إنها خطئةُ الله، كما نقرأ في تكوين ٢، أن يأخذَ أشخاصاً ويعملَ منهم شركاء، ليصبحوا والدين ويُنجبوا أشخاصاً يصبحون بدورهم شركاء ووالدين. فالزواج هُوَ الإطارُ الأمين الذي فيه يُريدُ الله أن يتربى الأولادُ ويُعدوا لمواجهة الحياة. فإمانُ الأطفالِ يعتمدُ على الإلتزام أو أمانة الشريكين الزوجيين. اعتقد أن هذه هي الحقيقة التي تكمنُ في قلبِ هذه الوصية. فالله يُفكرُ بالعائلاتِ والأطفالِ عندما يأمرُ بالقول: "لا تزن."

الوصية الثامنة هي، "لا تسرق." إِنَّ رُوحَ هذه الوصية هي أن الله هُوَ إلهُ ترتيب. فبناءً على نعمته وعلى زرعنا وحصاننا، نكنزُ لأنفسنا بعضَ المدخراتِ في الحياة. فعندما تسرقُ، تنتهكُ الترتيب الذي وضعه الله. هذا النظام الذي وضعه الله هُوَ رُوحُ الوصية.

الوصية التاسعة هي، "لا تشهدَ بالزور." هذه وصيةٌ اعتقد أن معظمَ الناسِ لم ينظروا إليها عن كُتبٍ بشكلٍ كافٍ. لدينا ميلٌ للإعتقاد بما يُسمى الكذباتِ الكبيرة والكذباتِ الصغيرة، أو السوداء والبيضاء. إحدى أدكى الطرقِ للكذب هي بقول الحقيقة ولكن خارجَ إطارها، أو بقول جزءٍ فقط من الحقيقة. يصبحُ الناسُ خُبراء في هذا المجال عندما ينوون أن يدمروا شخصياً ما. ولكن الوصية تقطعُ الطريقَ على هكذا سلوك، بقولها ببساطة، "لا تشهدَ بالزور." فلا يهْمُ كم تستطيع أن تتحاذقَ بقيامك بذلك. فإذا أعطيتَ إنطباعاً خاطئاً، كبيراً أم صغيراً، بالإقترافِ أو الإمتناع، تكونُ قد إنتهكتَ الوصيةَ التاسعة. إِنَّ رُوحَ الوصية التاسعة هي أن توصلَ الحقيقةَ بالكلامِ والحركاتِ وغيرها.

الوصية الأخيرة تأمرنا بأن لا نشتهي. إِنَّ رُوحَ هذه الوصية مُشابهةٌ لروحِ الوصية الثامنة، "لا تسرق." فالله لديه إرادةٌ تجاه ما نملكه، سواءً أكانَ زوجةً، أم عائلةً، أم منزلاً، أم وظيفةً، أم مكانةً في الحياة. الله لديه مشيئةٌ تجاه كلِّ هذه الأمور. بحسبِ الكتابِ المقدس، لا يُفترضُ بنا أن نُقارنَ أنفسنا بالآخرين. فنحنُ جميعاً أشخاصٌ فرِيدون. وعندما صنعك الله وصنعني، صنعنا وكسرَ القالبَ الذي صنعنا به، أي خلقنا فرِيدين. وهُوَ لا يُريدنا أن نكونَ مثلَ أيِّ شخصٍ آخر. ولا يُريدُ لأيِّ شخصٍ آخر أن يكونَ مثلنا تماماً. إن كانَ هذا صحيحاً، فعلياً أن لا نُقارنَ أنفسنا بالآخرين، وعلينا أن لا نحسدَ ولا نشتهي ما يملكه الآخرون. فالحسدُ والشهوةُ يُظهرا أننا غيرُ مُكتفينَ بمشيئةِ الله لحياتنا. اعتقد أن هذه هي رُوحُ الوصية العاشرة.

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل